السيرة النبوية

لابن هشام

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الرابع

دار الجيل

بيروت

طبعة جديدة
مضبوطة — منقحة

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء

فى ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع وجمادين ورجبا وشعبان [وشهر] رمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلى .

ويقال لها عمرة القصاص (١) ، لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : « والحرمات قصاص » .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة .

---

(١) عمرة القصاص : وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » ، وهذه الآية فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها ، فإنها لم تك فسدت بصدهم عن البيت ، بل كانت عمرة تامة متقبلة ، حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح ، فألقتها فى الحرم ، فهى معدودة فى عمر النبى — صلى الله عليه وسلم — وهى أربع : عمرة الحديبية . وعمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، والعمرة التى قرنها مع حجة فى حجة الوداع فهو ، أصح القولين أنه كان قارناً فى تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام فى شوال كذلك . روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن فى ذى القعدة إلا التى قرن مع حجه ، كذلك روى الزهرى ، وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارناً ، وأن عمره كن أربعاً بعمرة القران .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع[1] بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول[2] ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم ، واستلم الركن اليمانى ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها .

= وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذيّ أنه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهى حجة الوداع ، ولا ينبغى أن يضاف إليه فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه فى كل سنه أحد عشر يوماً ، هذا هو الذى منع النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشتركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد امحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال فى حجة الوادع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض.

والعمرة واجبة فى قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبى : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع — أى رفع لفظ العمرة على جعل « والعمرة لله » كلاما مستأنفا لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هى واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل فى العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول على وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد . قالوا : يعتمر الرجل فى العام ما شاء .

(١) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٢) يهرول : من الهرولة وهى فوق المشى ودون الجرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام[1] ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله   خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيـله   أعرف حق الله في قبوله[2]
نحن قتلناكم على تأويله   كما قتلناكم على تنزيله[3]
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم[4] ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل .

زواج الرسول بميمونة : قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث[5] في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس ابن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس،

---

(١) الخطام : حبل تقاد به الناقة .

(٢) قيله : قوله .

(٣) ويروى : اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى عن ابن عمرو أنه كان يقرأ « يأمرْكم وينصرْكم » .

(٤) قالها يوم صفين ، وهو اليوم الذي قتل فيه عمار ، قتله أبو الغادية الفزاري وابن جزء اشتركا فيه .

(٥) وأمها : هند بنت عوف الكنانية .

لجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا ، فأتاه حويطب بن عبدالعزى ابن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لاحاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف[1] ، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة .

---

(١) مكان قرب التنعيم وبسرف كانت وفاتها رضى الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، ويزيد بن الأصم : وكلاهما ابن أخت لها ، ويقال : فيها نزلت « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » في أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف الناس في تزويجه إياها أكان محرماً أم حلالا فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً ، واحتج به أهل العراق في تجويز نكاح المحرم ، وخالفهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن يَنكح المحرم أو يُنكِح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال ، وخرج الدارقطني والترمذى أيضا من طريق أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال . وروى الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس وفي مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضى الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر في هذا الحديث ميمونة ، فنكاحها أرادت ، وهو حديث غريب ، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ماتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم — وتزجها محرماً ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه

ماجاء من القرآن فى عمرة القضاء : قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » يعنى خيبر .

ذكر غزوة مؤتة(١)

فى جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرم وصفرا وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

= الدارقطنى فى السنن من طريق أبى الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرما ، أى : فى الشهر الحرام ، وفى البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربى فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا .. عن الروض الأنف

(١) وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض البلقاء . من الشام ، وأما الموتة بلا همزة ، فضرب من الجنون « وفى الحديث أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه الموتة .

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : ما يبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » ، فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ؛ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا[1]
أو طعنة بيدى حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[2]
حتى يقال إذا مروا على جدثى ... أرشده الله من غاز وقد رشدا[3]

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ، ثم قال :

فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلة ... الله يعلم أنى ثابت البصر
أنت الرسول فمن يُحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حَسن ... فى المرسلين ونصرا كالذى نصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلة ... فراسة خالفت فيك الذى نظروا

يعنى المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

---

(١) الفرغ : السعة . والزبد فى الأصل الرغوة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .

(٢) المجهزة : التى تجهز عليه ، أى تسرع فى قتله .

(٣) الجدث : القبر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرىء ودعته   في النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له .

قال : فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون ، للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس ؛ فقال عبدالله بن رواحة في محبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجإ وفرع   تُغر من الحشيش لها العكوم[1]
حذوناها من الصوان سبتا   أزل كأن صفحته أديم[2]

---

(١) أجأ : أحد جبلي طيء والجبل الآخر سلمى. وفرع : مكان بأجأ . تغر : تطعم مرة بعد أخرى . والعكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٢) أي حذوناها نعالا من حديد جعله سبتاً لها ، مجازاً . وصوان من الصون ، أي : يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان يبس الأرض ، أي لا سبت له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نخلة خاوية أي يابسة ، وأنشد أبو علي :

قد أوبيت كل ماء فهي صاوية

ويشهد لمعنى الصوان هنا قول النابغة الذبياني :

يرى وقع الصوان حد نسورها

وعين الفعل في صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين في الصاد والواو والياء هذا =

أقامت ليلتين على مَعان ... فأعقب بعد فترتها جموم(١)
فرحنا والجياد مسومات ... تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأبى مآب لنأتينها ... وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت ... عوابس والغبار لها بريم(٢)
بذى لجب كأن البيض فيه ... إذا برزت قوانسها النجوم(٣)
فراضية المعيشة طلقتها ... أسنتها فتنكح أو تئيم(٤)

قال ابن هشام : « ويروى : جلبنا الخيل من آجام قرح » ، وقوله : « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم، قال : كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

= اللفظ ، فقال : صوى يصوى: إذا يبس ، ونخلة صاوية،ولو كان مما لامه ياء ، لقيل فى صوان صيان ، كما قيل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء .

(١) معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضاً : حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعنت للنظر ، أو من الماء المعين ، فيكون وزنه فعالا ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه مفعلا ، وقد جنس المعرى بهذه الكلمة ، فقال :

مَعان من أحبتنا مُعان ... تجيب الصاهلات بها القيان

والفترة : السكون . الجموم : اجتماع القوة .

(٢) البريم فى الأصل : الخيط المفتول الذى فيه لونان مختلطان ، يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب .

(٣) بذى لجب : أى بجيش ذى لجب . واللجب اختلاط الأصوات . البيض مايوضع على الرأس من الحديد ليحميه . والقوانس : أعالى البيض .

(٤) تئيم : تبقى دون زوج

إذا أديتنى وحملت رحلى ... مسيرة أربع بعد الحساء[١]
فشأنك أنعم وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى ... بأرض الشام مشتهى الثواء
وردك كل ذى نسب قريب ... إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء[٢]

فلما سمعتهن منه بكيت . قال : فخفقنى بالدرة ، وقال : ما عليك يالكع[٣] أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى الرحل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيد زيد اليعملات الذبل ... تطاول الليل هديت فانزل[٤]

لقاء الروم وحلفائهم : قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم[٥] البلقاء لقيتهم جموع هرقل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ لها المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عُباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك .

مقتل زيد بن حارثة : قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط[٦] فى رماح القوم .

---

(١) الحساء . جمع حسى : ماء يختفى فى الرمل حتى يجد مكانا صلبا فيستقر

(٢) البعل : من يشرب بعروقه من الزرع دون رى .

(٣) اللكع : اللئيم أو الأحمق .

(٤) اليعملات : النوق السريعة . والذبل : التى أهزلها السير .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .

(٦) شاط : توزع .

مقتل جعفر : ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه(١) القتال اقتحم(٢) عن فرس له شقراء ، فعقرها(٣) ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم : أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء(٤) . ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين .

---

(١) ألحمه : وقع فيه فلم يجد له مخرجا .

(٢) اقتحم عن فرسه : رمى نفسه من عليها .

(٣) عقرها : ضرب قوائمها بسيفه . ولم يعب ذلك عليه . فدل على جوازه مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثاً . غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا النفيلي قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثني : أبي الذي أرضعني ، وهو أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهي كثير عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة البارحة ،=

مقتل عبد الله بن رواحة : قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنـــزلن أو لتكرهنه

= فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة ، وجناحاه مضرجان بالدم ، وعن سعيد بن المسيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل لى جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة فى خيمة من در على أسرة ، فرأيت زيداً وعبد الله وفى أعناقهما صدود ، ورأيت جعفراً مستقيماً . فقيل لى : إنهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر ، فلم يعرض ، وسمع النبى — صلى الله عليه وسلم — فاطمة حين جاء نعى جعفر تقول واعماه ، فقال : على مثل جعفر ، فلتبك البواكى . وكان أبو هريرة يقول : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت علياً حاجة ، فمنعنى أقسم عليه بحق جعفر فيعطينى .

ومما ينبغى الوقوف عليه فى معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحى الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ، وأكملها ، وفى قوله عليه السلام : إن الله خلق آدم على صورته تشريف له عظيم ، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية ، أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة ، وقد قال الله تعالى لموسى : « واضمم يدك إلى جناحك » فعبر عن العضد بالجناح توسعاً ، وليس ثم طيران ، فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به إذاً : أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية ، وقد قال أهل العلم فى أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ، ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة ، واحتجوا بقوله تعالى : « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ، ولا أربعة ، فكيف بستمائة جناح ، كما جاء فى صفة جبريل عليه السلام ، فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ، ولا ورد أيضاً فى بيانها خبر ، فيجب علينا الإيمان بها ، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر فى كيفيتها ، وكل امرىء قريب من معاينة ذلك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٤ ص ٨٠ .

إن أجلب الناس وشدوا الرنه   مالى أراك تكرهين الجنه[1]
قد طال ما قد كنت مطمئنة   هل أنت إلا نطفه فى شنه[2]

وقال أيضا :

يا نفس إلا تقتلى تموتى   هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت   إن تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق [٣] من لحم فقال: شد بهذا صلبك ، فانك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس (٤) منه نهسة ، ثم سمع الحطمه (٥) فى ناحية الناس ، فقال وأنت فى الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

امارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وخاشى (٦) بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

الرسول يتنبأ بما حدث : قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر

---

(١) الرنة : صوت يشبه البكاء .
(٢) النطفة الماء القليل الصافى . الشنة : السقاء البالى ، ضرب بذلك مثلا بقصر العمر .
(٣) العرق : عظم عليه بعض اللحم .
(٤) انتهس : أخذ اللحم بمقدم أسنانه ونتفه   (٥) الحطمة : كسر الناس لبعضهم .
(٦) والمخاشاة . المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم فقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ،وخمسين ألفاً من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفاً : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله: حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم .

فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال: لقد رفعوا إلى فى الجنة ، فيما يرى النائم، على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا (١) عن سريرى صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى :

حزن الرسول على جعفر : قال ابن إسحاق : لحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغت أربعين منا — قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة — وعجنت عجينى ، وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم. قالت : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتينى ببنى جعفر؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ، فقلت يارسول الله ، بأبى أنت وأمى، ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقمت أصيح ، واجتمعت إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لاتغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم (٢) .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، قالت : لما أتى نعى جعفر عرفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ، إن النساء عنيننا وفتننا ؛ قال فارجع إليهن فأسكتهن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك — قالت: تقول وربما ضر التكلف أهله — قالت : قال :

---

(١) الازورار : الميل

(٢) وهذا أصل فى طعام التعزية وتسمية العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة، وطعام القادم من السفر ، النقيعة ، وطعام البناء الوكيرة ، وكان الطعام الذى صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، فى حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم إلى شعير ، فطحنته ، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله ، فأكلت منه ، وحبسنى النبى صلى الله عليه وسلم مع إخوتى فى بيته ثلاثة أيام .

فاذهب فأسكتهن ، فإن أبين فاحث فى أفواههن التراب ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فو الله ماتركتَ نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لايقدر على أن يحثى فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذرى ، الذى كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طعنت ابن زافلة بن الإرا ش برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة فمال كما مال غصن السلم[1]
وسقنا نساء بنى عمه غداة رقوقين سوق النعم[2]

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .

والبيت الثالث عن خلاد بن قرة ؛ ويقال : مالك بن رافلة .

ما قالته كاهنة حدس : قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قد قالت لقومها من حدس ، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم — أنذركم قوما خزراً[3] ، ينظرون شزراً[4] ، ويقودون الخيل تترى ، ويهريقون دما عكراً . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ؛ فلم تزل بعد أثرى حدس . وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزالوا قليلا بعد . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

الرسول يلتقى بالأبطال : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون . قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، أعطونى ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ! قال :

---

(١) السلم : شجر العضاة . نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .

(٢) رقوقين : اسم موضع . (٣) الخزر : من يضيقون عيونهم وينظرون .

(٤) الشزر : نظر العداوة .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفرّار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى[1] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

ما قيل من الشعر فى غزوة مؤتة : قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسحّر اليعمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفك نفسى تلومنى ... على موقفى والخيل قابعة قُبل[2]
وقفت بها لا مستجيرا فنافذاً ... ولا مانعا من كان حم له القتل
على أنى آسيت نفسى بخالد ... ألا خالد فى القوم ليس له مثل
وجاشت إلىّ النفس من نحو جعفر ... بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل
وضم إلينا حجزتيهم كليهما ... مهاجرة لا مشركون ولا عزل[3]

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه : أمّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : نحن الفرارون يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فئتكم ، يريد : أن من فر متحيزاً إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه ، فالمتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلا كما يظن بعض الناس لقيل فيه : متحوز : وروى أن عمر رضى الله عنه حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وأصحابه فى بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإنا فئة لكل مسلم .

(٢) القبل : إقبال نظر كل من العينين على الآخر .

(٣) حجزتيهم : ناحيتهم .

قال ابن إسحاق : وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت :

تأوبنى ليـــل بيثرب أعسر ... وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى عبرة ... سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شَعوبَ وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبىّ إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد ... لمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفر من محمد ... وفاء وأمراً حازما حين يأمر
فمازال فى الإسلام من آل هاشم ... دعائم عـــز لا يُزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويقهر[1]
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... على ومنهم أحمـــد المتخير[2]
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء فى كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر[3]
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم ، وفيهم ذا الـكتاب المطهر

وقال كعب بن مالك :

نام العيون ودمع عينك يهمل ... سحا كما وكف الطباب المخضل[4]
فى ليلة وردت على همومها ... طوراً أحن وتارة أتململ

---

(١) الرضام : الحجارة المرضومة ، وهى المجموعة فوق بعضها . الطود : الجبل .

(٢) البهاليل : السادة . (٣) العماس : المظلم .

(٤) الطباب : جمع طبابة ، وهى سير بين خرزتين فى المزادة ، فإذا كان غير محكم وكف منه الماء .

واعتادنى حزن فبت كأننى ... ببنات نعش والسماك موكل(١)
وكأنما بين الجوانح والحشى ... مما تأوبنى شهاب مُدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا ... يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية ... وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم ... حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم ... فُنُقٌ عليهن الحديد المرفل(٢)
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حيث التقى وعث الصفوف مجدل(٣)
فتغير القمر المنير لفقده ... والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرعا أشم وسوددا ما ينقل(٤)
قوم بهم عصم الإله عباده ... وعليهمُ نزل الكتاب المنزل
فضَلوا المعاشر عزة وتكرما ... وتغمدت أحلامهم من يجهل
لا يطلقون إلى السفاه حُباهم ... ويرى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم ... تندى إذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رضى الإله لخلقه ... وبجدهم نُصر النبى المرسل

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر ... حِب النبى على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لى ... مَن للجلاد لدى العقاب وظلها(٥)
بالبيض حين تسل من أغمادها ... ضربا وإنهال الرماح وعلها(٦)

---

(١) بنات نعش نوعان : الكبرى وهى سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى . والصغرى : سبعة كواكب قرب بنات نعش الكبرى . والسماك : هما سماكان . نجمان نيران أحدهما فى الشمال ويعرف « بالرامح » والثانى فى الجنوب ويعرف « بالأعزل » . والمعنى أنه من طول سهره بات يرعى النجوم .

(٢) الفنق : فحول الإبل : المرفل : السابغ .

(٣) الوعث : الالتحام . (٤) قرم : سيد .

(٥) العقاب : اسم راية من رايات الرسول عليه السلام .

(٦) الإنهال : الشرب الأول . وعلها : شربها الثانى

بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلها وأجلها :
رزءا وأكرمها جميعا محتدا وأعزها متظلما وأذلها :
للحق حين ينوب غير تنحل كذبا ، وأنداها يداً ، وأقلها : [1]
فحشا ، وأكثرها إذا ما يجتدى فضلا ، وأبذلها ندى ، وأبلها : [2]
بالعرف غير محمد لامثله حى من احياء البرية كلها

وقال حسان بن ثابت فى يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة :

عين جودى بدمعك المنزور[3] واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤتة وماكان فيها يوم راحوا فى وقعة التغوير
حين راحوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور[4]
حب خير الأنام طرا جميعا سيد الناس حبه فى الصدور

---

(١) فى هذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذى بعده تضمين ، فقوله : وأذلها ، ثم قال فى أول بيت آخر : الحق ، وكذلك قال فى البيت الآخر : وأقلها ، وقال فى الذى بعده فحشاً . .

وذكر قدامة فى كتاب نقد الشعر أنه عيب عند الشعراء ، ولعمرى إن فيه مقالا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوهم الذم فى مثل قوله : وأذلها ، وكذلك . وأقلها ، وقد غلب الزبرقان على المخبل السعدى بكلمة قالها وإن كان المخبل أشعر منه ، ولكنه لما قال يهجوه :

وأبوك بدركان يفهز الخصى وأبى الجواد ربيعة بن قتال

وصل الكلام بقوله : وأبى ، فقال له الزبرقان : لابأس إذا ، فضحك من المخبل ، وغلب عليه الزبرقان ، فإذا كان هذا معيباً فى وسط البيت ، فاحرى أن يعاب فى آخره ، إذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك لوهم إلا بالبيت الثانى ، فليس هذا من التحصين على المعانى والتوقى للاعتراض .

(٢) الاجتداء طلب المعروف .

(٣) النزر : القليل ، ولا يحسن ههنا ذكر القليل ، ولكنه من نزرت الرجل إذا ألححت عليه ، ونزرت الشىء إذا استنفدته ومنه قول عمر ـ رحمه الله ـ نزرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأصح فيه التخفيف .

قال الشاعر :

خذ عفو من تهواه لا تنزرنه فعند بلوغ الكدر رنق المشارب

(٤) الضريك : الفقير .

ذاكم أحمد الذى لاسواه ذاك حزنى له معاً وسرورى
إن زيدا قد كان منا بأمر ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودى للخزرجى بدمع سيدا كان ثم غير نزور[١]
قد أتانا من قتلهم ماكفانا فبحزن نبيت غير سرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة :

كفى حزناأنى رجعت وجعفر وزيد وعبدالله فى رمس أقبُر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفت للبلوى مع المتغبر[٢]
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا إلى ورد مكروه من الموت أحمر

تسمية شهداء مؤتة : وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة .

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزيد بن حارثة رضى الله عنه .

ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

ومن بنى مالك بن حسل : وهب بن سعد بن أبى سرح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبدالله بن رواحة ، وعباد بن قيس .

ومن بنى غُنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف ابن غنم .

ومن بنى مازن بن النجار : سراقه بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب :

من بنى مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفصى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر ابن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب[٣] وجابر ، ابنا عمرو .

---

(١) النزور : قليل العطاء . (٢) المتغبر : الباقى .

(٣) وهو المعروف عندهم وقيل أبو كليب ، قال أبو عمر : لا يعرف فى الصحابة أحد يقال له : أبو كليب

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة

فى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ما وقع بين بنى بكر وخزاعة : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير ، وكان الذى هاج مابين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى ، واسمه مالك بن عباد — وحلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رَزْن[1] —خرج تاجرا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود ابن رَزْن الديلى — وهم منخر بنى كنانة وأشرافهم — سلمى وكلثوم وذؤيب — فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم[2] .

قال ابن إسحاق . وحدثنى رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا

---

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الراء ، قال : والرزن : نقرة فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بنى رزن من بنى بكر ، وقد قيل فيه : الدئل .

(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم الفيصل بينهما .

أن يصيبوا منهم ثأرا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رزن ، فخرج نوفل ابن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بيَّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا (١) خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يابنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقون ؛ فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا (٢) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك فأما أنا فوالله إنى لميت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبت (٣) فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبها فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا ... يغشون كل وتيرة وحجاب (٤)
صخرا ورزنا لاعريب سواهم ... يُزْجون كل مقلص خناب (٥)
وذكرت ذحلا عندنا متقادما ... فيما مضى من سالف الأحقاب (٦)
ونشيت ريح الموت من تلقائهم ... ورهبت وقع مهند قضاب (٧)
وعرفت أن من يثقفوه يتركوا ... لحما لجرية وشلو غراب (٨)
قوّمت رجلا لاأخاف عثارها ... وطرحت بالمتن العراء ثيابى (٩)
ونجوت لاينجو نجائى أحقب ... علج أقب مشمر الأقراب (١٠)

---

(١) حازوا : ساقوا . (٢) مفئودا : ضعيف الفؤاد .
(٣) انبت : انقطع .
(٤) الوتيرة : الأرض الممتدة . الحجاب : ما اطمأن من الأرض .
(٥) لا عريب : لا أحد . المقلص : الفرس طويل القوائم ، منضم البطن . الخناب : واسع المنخرين . (٦) الذحل : طلب الثأر . (٧) نشيت : شممت .
(٨) الجرية : اللبؤة التى لها جراء أى أبناء ، الشلو : بقية الجسد .
(٩) المتن : ظهر الأرض .
(١٠) نجوت : أسرعت . والأحقب : حمار الوحش أبيض العجز . علج : غليظ . أقب : ضامر البطن . مشمر الأقراب : منقبض الخواصر .

تلحى ولو شهدت لكان نكيرها ... بولاً يبل مشافر القبقاب(١)
القوم أعلم ما تركت منبها ... عن طيب نفس فاسألى أصحابى

قال ابن هشام : وتروى لحبيب بن عبد الله الأعلم الهذلى . وبيته : « وذكرت ذحلا عندنا متقادما » عن أبى عبيدة ، وقوله « خناب » و « علج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضا .

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لعط الديلى ، فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب :

ألا هل أتى قصوى الأحابيش أننا ... رددنا بنى كعب بأفوق ناصل(٢)
حبسناهم فى دارة العبد رافع ... وعند بديل محبسا غير طائل
بدار الذليل الآخذ الضيم بعدما ... شفينا النفوس منهم بالمناصل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم ... نفحنا لهم من كل شعب بوابل(٣)
نذبحهم ذبح التيوس كأننا ... أسود تبارى فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا فى مسيرهم ... وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل
كأنهم بالجزع إذ يطردونهم ... قفاثور حفان النعام الجوافل(٤)

---

(١) تلحى : تلوم ، المشافر : الجوانب . القبقاب : الفرج .

(٢) الأحابيش : من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم . الأفوق : السهم الذى انكسر طرفه الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله .

(٣) نفحنا : وسعنا . والشعب : ما استوى بين الجبلين . الوابل : فى الأصل المطر الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل .

(٤) الجزع : ما انعطف من الوادى . قفاثور ، يعنى : الجبل ، وقفا ظرف الفعل الذى قبله ، وقال : قفاثور : ولم ينون لأنه اسم علم مع ضرورة الشعر ، قيل ، ولو قال : قفائور بنصب الراء ، وجعله غير منصرف ، لم يبعد لأن مالا تنوين فيه ، وهو غير معرف بألف ولام ولا إضافة ، فلا يدخله الخفض لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم إلى نفسه ، وقفاثور بهذا اللفظ تقيد فى الأصل ، وظاهر كلام البرقى فى شرح هذا البيت أنه بفاثور . لأنه قال : الفاثور سبيكة الفضة ، وكأنه شبه المكان بالفضة لنقائه واستوائه ، فإن كانت الرواية كما قال ، فهو اسم موضع ، والفاثور : خوان من فضة ، ويقال : إبريق من فضة . قيل ذلك فى قول جميل :

وصدر كفاثور اللجين وجيد

فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب، وكان يقال له: بديل بن أم أصرم، فقال:

تفاقد قوم يفخرون ولم تدع ... لهم سيدا يندوهم غير نافل(١)
أمن خيفة القوم الألى تزدريهم ... تجيز الوتير خائفا غير آئل(٢)
وفي كل يوم نحن نحبو حباءنا ... لعقل ولا يحبى لنا في المعاقل(٣)
ونحن صبحنا بالتلاعة داركم ... بأسيافنا يسبقن لوم العواذل
ونحن منعنا بين بيض وعتود ... إلى خيف رضوى من مجر القنابل(٤)
ويوم الغميم قد تكفت ساعيا ... عبيس فجعناه بجلد حلاحل(٥)
أإن أجمرت في بيتها أم بعضكم ... بجعموسها تنزون أن لم نقاتل(٦)

= وفي قول لبيد:

حقائبهم راح عتيق ودرمك ... ومسك وفاثورية وسلاسل

وكما قال البرقي: ألفيته في نسخ صحيحة سوى نسخة الشيخ، وإن صح ما في نسخة الشيخ فهو كلام حذف منه ومعناه: قفافاثور، وحسن حذف الفاء الثانية، كما حسن حذف اللام الثانية في قولهم: علماء بني فلان لا سيما مع ضرورة الشعر، وترك الصرف، لأنه جعله اسم بقعة، ومن الشاهد على أن فاثور اسم بقعة قول لبيد:

ويوم طعنتم فاسمعدت ونودكم ... بأجماد فاثور كريم مصابر

أي أنا كريم مصابر، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافا. وقال هو اسم جبل. يعني فاثور وقال ابن مقبل:

حي محاضرهم شتى وجمعهم ... دوم الإياد، وفاثور إذا انتجعوا

وقال لبيد:

ولدى النعمان مني موطن ... بين فاثور أفاق فالدخل

وحفان النعام: صغارها، وهو مرفوع لأنه خبر كأن عن السهيلي.

(١) يندوهم: يجمعهم في النادي. (٢) الوتير: ماء لخزاعة. (٣) نحبو: نعطي.
(٤) بيض: منازل بني كنانة. والعتود: ماء لهم. الخيف: ما انحدر من الجبل. رضوى جبل بالمدينة.
(٥) الغميم: مكان بين مكة والمدينة. تكفت: حاد. عبيس: اسم رجل. الحلاحل: السيد
(٦) الجعموس: العذرة. أجمرت: ضربه من الحدث يسمج وصفه ويقبح.

كذبتم وبيت الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم فى بلابل[1]

قال ابن هشام: قوله «غير نافل»، وقوله «إلى خيف رضوى» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت فى ذلك:

لحا الله قوما لم ندع من سراتهم لهم أحدا يندوهم غير ناقب
أخُصيٌ حمار مات بالأمس نوفلا متى كنت مفلاحا عدو الحقائب

خزاعة تستنجد بالرسول: قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا فى عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعى، ثم أحد بنى كعب، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس، فقال:

يارب إنى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم وُلدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا[2]
فانصر هداك الله نصرا اعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا رُكّعا وسجدا

يقول: قتلنا وقد أسلمنا.

قال ابن هشام: ويروى أيضا:

فانصر هداك الله نصرا أيدا

قال ابن هشام: ويروى أيضا:

نحن ولدناك فكنت ولدا

---

(١) البلابل: وساوس الأفكار.

(٢) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة، وكذلك: قصى امه: فاطمة بنت سعد الخزاعية، والوَلد بمعنى الوُلد: وقوله: ثمت أسلمنا. هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد، غير أنه قال: ركعاً وسجداً، فدل على أنه كان فيهم من صلى لله، فقتل، والله أعلم.

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت ياعمرو بن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان[1] من السماء، فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب.

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد، ويزيد فى المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليشد العقد ، ويزيد فى المدة، وقد رهبوا الذى صنعوا؛ فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : تسيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ما جئت محمداً ؟ قال : لا ؛ فلما راح بديل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى ، فأتى مبرك راحلته ، فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

أبو سفيان يطلب الصلح : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسن بن على ، غلام يدب بين يديها ، فقال : ياعلى ، إنك أمس القوم بى رحما ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول

---

(١) عنان : سحاب

الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه : فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فانصحنى ، قال : والله ما أعلم لك شيئا ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا ؟ قال : لا والله ، ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فى المسجد، فقال : أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمدا فكلمته ، فوالله مارد على شيئا ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بشىء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا . ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت : قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الاستعداد لفتح مكة : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرك بعض جهاز رسول الله

---

(١) وقد ذكر أبو عبيد هذا محتجاً به على من أجاز أمان الصبى وجواره ، ومن أجاز جواز الصبى إنما أجازه إذا عقل الصبى ، وكان كالمراهق .

وقولها : ولا يجير أحد على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أدناهم ، فمعنى هذا — والله أعلم — كالعبد ونحوه يجوز جواره، فيما قل ، مثل أن يجير واحداً من العدو أو نفرا يسيراً ، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحربهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذى أرادت فاطمة — رضى الله عنها — والله أعلم ، وأما جوار المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء إلا سحنون وابن الماجشون ، فإنهما قالا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانىء : قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء ، وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وأما جوار العبد ، فجائز إلا عند أبى حنيفة ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم : يجير على المسلمين أدناهم ، يدخل فيه العبد والمرأة .

صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أى بنية : أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ؛ قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بنى كعب تحز رقابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم ... وقتلى كثير لم تجن ثيابها[1]
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى ... سهيل بن عمرو وحزها وعقابها
وصفوان عودا حن من شفر استه ... فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يابن أم مجالد ... إذا احلبت صرفا وأعصل نابها[2]
ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا ... لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام : قول حسان : « بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم » يعنى قريشا ، « وابن أم مجالد » يعنى عكرمة بن أبى جهل .

حاطب يحذر أهل مكة : قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم فخرجا حتى أدركاها بالخليقة ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه فى رحلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله

---

(١) تجن : تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يستروا بالدفن .
(٢) أعصل : اعوج .

عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، لحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : ياحاطب، ما حملك على هذا ؟ فقال : يارسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله، ماغيرت ولابدلت ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك ياعمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم .فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » . . إلى قوله . « لقد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » . إلى آخر القصة.

خروج الرسول إلى مكة . قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأمج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشر آلاف من المسلمين ، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مزينة (١) ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قريش ، فلم يأتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق.

قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض ، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى .

---

(١) سبعت : صارت سبعمائة . وألفت : صارت ألفا .

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية: قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يارسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بني له [1]. فقال: والله ليأذن لي أو لآخذن بيدي بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما، ثم أذن لهما: فدخلا عليه، فأسلما.

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أُهدى وأهتدي
هداني هاد غير نفسي ونالني ... مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهداً عن محمد ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهواهم ... وإن كان ذا رأي يلم ويفند [2]
أريد لأرضيهم ولست بلائط ... مع القوم ما لم أهد في كل مقعد [3]
فقل لثقيف لا أريد قتالها ... وقل لثقيف تلك: غيري أوعدي
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً ... وما كان جرا لساني ولا يدي [4]
قبائل جاءت من بلاد بعيدة ... نزائع جاءت من سهام وسردد

قال ابن هشام: ويروى «ودلني على الحق من طردت كل مطرد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

---

(١) لعله يكون جعفرا، فقد كان آنذاك غلاما مدركا وشهد مع أبيه حنينا ومات في خلافة معاوية.
(٢) يفند: يكذب.
(٣) لاط: لصق.
(٤) جرا: جراء.

« ونالني مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره ، وقال : أنت طردتني كل مطرد .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب : فقلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجت عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة . قال : فوالله إني لأسير عليها ، وألتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ، قال : يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها (١) الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرفت صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبي وأمي ؛ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة ؟ فداك أبي وأمي ؛ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفي ورجع صاحباه ؛ قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلي ؛ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يارسول الله ، هذا أبو سفيان أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه ، قال : قلت : يارسول الله ، إني قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لايناجيه الليلة دوني رجل ؛ فلما أكثر عمر في شأنه ، قال : قلت : مهلا ياعمر ، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ماقلت

---

(١) حمشتها : أحرقتها .

هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مهلا ياعباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به ياعباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به ، قال : فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعباس ، احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل [1] ، حتى تمر به جنود الله فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

عرض الجيش على أبى سفيان : قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حلزة اليشكرى :

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وله فارسية خضراء

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

---

(١) الخطم : الأنف ، شىء يخرج من الجبل يضيق به الطريق .

لما رأى بدراً تسيل جلاهه ... بكتيبة خضراء من بلخزرج

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله : ياعباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس[1] قبح من طليعة قوم[2] قال : ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تغنى عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

قال ابن إسحاق . فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل .

إسلام أبى قحافة : قال ابن إسحاق . وحدثنى يحيى بن عبد بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت . لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى طوى قال أبو قحافة لابنة[3] من أصغر ولده : أى بنية ، اظهرى بى على أبى قبيس[4] ، قالت وقد كف بصره ،

---

(١) الحميت : الزق ، نسبه إلى الضخم والسمن ، والأحمس الذى لاخـــير عنده ، من قولهم : عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان : والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرا على نكاحهما ، وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حجة للشافعى ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، مادامت فى العدة . وفرق مالك بين المسألتين على ما فى الموطأ وغيره .

(٢) طليعة القوم : الذى يحرسهم .

(٣) واسمها : أم فروة زوجة تميم الدارى ومن بعده الأشعث بن قيس . أو هى قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة .

(٤) أبو قبيس : جبل بمكة .

قالت : فأشرفت به عليه ، فقال أى بنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعا ، قال : تلك الخيل ، قالت ، وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا ومدبراً ، قال :أى بنية ، ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طوق من ورق (١) ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يارسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت . قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكأن رأسه ثغامة (٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره (٣) ، ثم قام

---

(١) الطوق : القلادة تطوق العنق .الورق : الفضة .

(٢) الثغامة . واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشدد بياضه إذا يبس .

(٣) هو على الندب ، لا على الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبى هريرة أنه خضب . وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب . وقال أنس : لم يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتنى أم سلمة شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفيه أيضاً عن ابن موهب قال : بعثنى أهلى بقدح إلى أم سلمة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمراً ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تعد .

فالجواب : أنه لما توفى خضب من عنده شىء من شعره : تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبوبكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر .

وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق فى شيب أبى قحافة : وجنبوه السواد =

أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أي أخية ، احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

دخول مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدى ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كَداء (١) .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين — قال ابن هشام : هو عمر ابن الخطاب — فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها .

= وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسواد ، وقيل : أول من خضب بالسواد فرعون وقيل : أول من خضب به من العرب عبد المطلب ، وترخص قوم في الخضاب بالسواد منهم محمد بن علي وروى عن عمر أنه قال : أخضبوا بالسواد ، فإنه أنكى للعدو ، وأحب للنساء . وقال ابن بطال في الشرح : إذا كان الرجل كهلا لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد ، لأن في ذلك ما قال عمر رضي الله عنه من الإرهاب على العدو والتحبب إلى النساء ، وأما إذا قوس واحدودب فحينئذ يكره له السواد ، كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في أبي قحافة : غيروا شيبه ، وجنبوه السواد .

(١) كداء بفتح الكاف والمد ، وهو بأعلى مكة . وكدى وهو من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال : كدا بضم الكاف والقصر ، وأنشدوا في كداء وكدى :

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدى فالركن والبطحاء

وبكداء وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم . كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس . فقال « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » ، فاستجيبت دعوته ، وقيل له : أذن في الناس بالحج يأتوك رجالا . ألا تراه يقول يأتوك ، ولم يقل يأتوني . لأنها استجابة لدعوته فمن ثمَّ - والله أعلم - استحب النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذي دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الليط ، أسفل مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس ابن قيس بن خالد أخو بني بكر ، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يُقبلوا اليوم فما لي علّه … هذا سلاح كامل وألّه (١)

وذو غرارين سريع السّلّه (٢)

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بني محارب بن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقذ ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت صفراء من بني فِهِر … نقية الوجه نقية الصدِرْ (٣)

لأضربن اليوم عن أبي صَخِرْ

قال ابن هشام : وكان خنيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : خنيس بن خالد ، من خزاعة

---

(١) الألة : الحربة ذات السنان الطويلة . (٢) غرارين : حدين .

(٣) قوله : من بني فهر بكسر الهاء وأبو صخر : هذا على على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك في النصب وعلله مستقصاة في النحو .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن بكر ، قالا : وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حماش منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى على بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمة   إذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالموتمه   واستقبلهم بالسيوف المسلمه [1]
يقطعن كل ساعد وجمجمه   ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه   لم تنطق فى اللوم أدنى كلمه [2]

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالموتمه » وتروى للرعاش الهذلى .

شعار المسلمين يوم فتح مكة : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف ، شعار المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبدالله وشعار الأوس : يابنى عبيد الله .

من أمر النبي بقتلهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلى من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر بن لؤى .

(١) وقوله : وابو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة ، فيه حجة لعثمان بن سعيد بن عبد الله المصرى المشهور بورش حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة ، وهى متحركة ، وإنما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين ومثل قوله : وابو يزيد ، قول الفرزدق .

فارعى فزار لا هناك المرتع

وإنما هو هنأك بالهمزة وتسهيلها بين بين فقلبها ألفاً على غير القياس المعروف فى النحو ، وكذلك قولهم المنساة وهى العصا ، وأصلها الهمزة ، لأنها مفعلة من نسأت ، وهى فى التنزيل كما ترى فى قوله تعالى : « مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته » .

(٢) النهيت والهمهمة : أصوات .

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلى يارسول الله ؟ قال: إن النبى لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خطل ، رجل من بنى تيم بن غالب :إنما أمر بقتله أنه كان مسلما، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا .

وكانت له قينتان : فرتنى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصى ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ، ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الحويرث بن نقيذ ، فرمى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق ومقيس بن حبابة : وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركا : وسارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب . وعكرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ، وأما مقيس بن حبابة فقتله نميلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس فى قتله :

لعمرى لقد أخزى نميلة رهطه ... وفجع أضياف الشتاء بمقيس

فلله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرّس[1]

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، فأمنها. وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها. وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب.

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن أبى هند، عن أبى مرة، مولى عقيل بن أبى طالب، أن أم هانىء بنت أبى طالب قالت: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة، فر إلى رجلان من أحمائى، من بنى مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى، قالت: فدخل علىّ علىّ بن أبى طالب أخى، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتى، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلى، فقال: مرحبا وأهلا يا أم هانىء، ما جاءبك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على؛ فقال: قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما.

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة.

الرسول يدخل الحرم: قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله ابن عبد الله بن أبى ثور، عن صفية بنت شيبة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن[2] فى يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس[3] فى المسجد.

قال ابن إسحاق: فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة[4] أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة[5] البيت

---

(١) التخريس: نوع من الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها.

(٢) المحجن: عصا معقفة الرأس.

(٣) استكف: اجتمع

(٤) المأثرة: مايتحدث به من المكارم.

(٥) السدانة: الخدمة.

وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ،ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها : يامعشر قريش ؛ إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ،وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية :« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم » . . . الآية كلها . ثم قال يامعشر قريش ،ماترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ؛ قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ؛ فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ؛ فقال ؛ يارسول الله ؛ اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك ياعثمان ؛ اليوم يوم بر ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى : إنما أعطيكم ماتُرْزَءون لاما تَرْزَءون .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ؛ فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ؛ فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا فى يده الأزلام (١) يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين » . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه سلم وتخلف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه ، وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أدرع ثم يصلى ، يتوخى بذلك الموضع الذى قال له بلال .

قال ابن هشام ، وحدثنى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام

---

(١) الأزلام : السهام التى يستقسم بها .

لجلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه مايغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمت الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك .

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سندر الأسلمى ، عن رجل من قومه، قال كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غط غطيطا منكرا لايخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات معتنزا [١] ، فإذا بيت الحى [٢] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لايقوم لسبيله شىء : فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره [٣] ؛ حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى : لا تعجلوا على حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطا لايخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ؛ فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسال عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدار مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمه؟ قال: إذ أقبل خراش ابن أمية مشتملا على السيف ، فقال هكذا عن الرجل [٤]، ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه ، فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته [٥] تسيل من بطنه ، وإن عينيه لترنقان [٦] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يامعشر خزاعة ؟ حتى انجعف [٧] فوقع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع خراش بن أمية ، قال: إن خراشا لقتال ؛ يعيبه بذلك.

---

(١) معتنزا . منفردا . (٢) بيت : غزى ليلا .
(٣) الحاضر : النازلون على الماء (٤) أى تنحوا عنه .
(٥) حشوته : ما اشتمل عليه جوفه من الأحشاء .
(٦) ترنقان : قربتا على الانغلاق . (٧) انجعف : سقط بكل ثقله .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبُري ، عن أبي شريح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير[1] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته ، فقلت له : ياهذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فقال: يأيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة ؛ فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر،أن يسفك فيها دما . ولا يعضد[2] فيها شجراً لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع . لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين . إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله : ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لاتمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إنى كنت شاهدا وكنت غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك .

قال ابن هشام : وبلغنى أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جنيدب ابن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوداه بمائة ناقة .

تخوف الأنصار من بقاء الرسول بمكة : قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لاشىء يارسول الله؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : معاذ الله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

---

(١) هذا وهم من ابن هشام وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق ... وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية . هذا ما ذهب إليه السهيلى فى الروض الأنف.

(٢) يعضد : يقطع .

كسر الأصنام: قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيدالله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص؛ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى مابقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

إسلام فضالة: قال ابن هشام: وحدثني: أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضالة؟ قال: نعم فضالة يارسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لاشيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: استغفر الله ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول والله مارفع يده عن صدري حتى مامن خلق الله شيء أحب إلى منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا: وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والإسلام
لوما رأيت محمدا وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا والشرك يغشى وجهه الإظلام

الأمان لصفوان بن أمية: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر، عن عروة بن الزبير قال: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يانبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربا منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك، قال: هو آمن، قال: يارسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: ياصفوان فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به، قال: ويحك! اغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم. فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني قال : صدق ، قال : فاجعلني فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثني رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمير : ويحك ! اغرب عني ، فلا تكلمني ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر .

إسلام رءوس أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري : أن أم حكيم بنت الحارث ابن هشام ، وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة ابن أبي جهل ـ أسلمتا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة ، فأمنه فلحقت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال: رمى حسان : ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد مازاده عليه :

لاتعدمن رجلا أحلك بغضه ... نجران في عيش أحذ لئيم[1]

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسول المليك إن لساني ... راتق مافتقت إذ أنا بور[2]

إذ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور[3]

آمن اللحم والعظام لربي ... ثم قلبي الشهيد أنت النذير

إنني عنك زاجر ثم حيا ... من لؤي وكلهم مغرور

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضا حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل معتلج الرواق بهيم[4]

مما أتاني أن أحمد لامني ... فيه فبت كأنني محموم

---

(١) الأحذ : القليل .

(٢) الراتق : الساد . بور : هالك . (٣) أباري : أجاري . مثبور : هالك .

(٤) البلابل : وساوس الأحزان . معتلج : مضطرب . والبهيم شديد الإظلام .

يا خير من حملت على أوصالها   عيرانة سرح اليدين غشوم(١)
إنى لمعتذر إليـــك من الذى   أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطة   سهم وتأمرنى بها مخزوم
وأُمد أسباب الردى ويقودنى   أمر الغواة وأمرهم مشئوم
فاليوم آمن بالنبى محمـــد   قلبى ومخطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها   ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر ـ فدًى لك والداى كلاهما ـ   زللى ، فإنك راحم مرحوم
وعليك من عِلم المليك علامة   نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه   شرفا وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق   حق وأنك فى العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى   مستقبل فى الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم   فرع تمكن فى الذرا وأُروم(٢)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

هبيرة يبقى على كفره : قال ابن إسحاق : وأما هبيرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافرا ، كانت عنده أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء :

أشـــاقتك هند أم أتاك سؤالها   كذاك النوى أسبابها وانفتالها(٣)
وقد أرقتْ فى رأس حصن ممنع   بنجران يسرى بعد ليل خيالها
وعاذلة هبت بليل تلومنى   وتعذلنى بالليل ضل ضلالها
وتزعم أنى إن أطعت عشيرتى   سأردى وهل يردين إلا زيالها(٤)

---

(١) العيرانة : الناقة الشديدة تشبه العير . سرح اليدين : شديدتهما . غشوم : لاترد عن وجهها .
(٢) قرم : سيد . الأروم : الأصول .
(٣) انفتالها : تقلبها .
(٤) أردى : أهلك . زيالها : ذهابها .

فإنى لمن قوم إذا جد جدهم على أى حال أصبح اليوم حالها
وإنى لحام من وراء عشيرتى إذا كان من تحت العوالى مجالها[1]
وصارت بأيديها السيوف كأنها مخاريق ولدان ومنها ظلالها[2]
وإنى لأقلى الحاسدين وفعلهم على الله رزقى نفسها وعيالها
وإن كلام المرء فى غير كنهه لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها
فإن كنتِ قد تابعت دين محمد وعطفت الأرحام منك حبالها
فكونى على أعلى سحيق بهضبة ململمة غبراء يبس بلالها[3]

قال ابن إسحاق : ويروى : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عدة من فتح مكة : قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ؛ ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

ماقيل من الشعر فى فتح مكة : وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء[4]
ديار من بنى الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء[5]

---

(١) العوالى : الرماح .
(٢) المخاريق : ما يلعب به الأطفال من الخرق المفتولة .
(٣) ململمة : مستديرة .
(٤) عفت : تغيرت . ذات الأصابع ، والجواء : موضعان بالشام . وبالجواء كان منزل الحارث بن أبى شمر الغسانى . وكان حسان كثيرا مايرد على ملوك غسان يمدحهم . وعذراء : قرية على بريد من دمشق قتل بها حجر بن عدى وأصحابه .
(٥) بنو الحسحاس : حى من بنى أسد . وقوله الروامس والسماء ، يعنى : الرياح والمطر

وكانت لايزال بها أنيس خلال مروجها نَعَم وشاء[1]
فدع هذا ، ولكن من لِطيْف يؤرقنى إذا ذهب العشاء
لشعثاء التى قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء[2]
كأن خبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء[3]
إذا ما الأشربات ذُكرن يوما فهن لطيِّب الراح الفداء
نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مَغث أو لحاء[4]
ونشربها فتتركنا ملوكا وأُسداً ما ينهنهنا اللقاء[5]
عدمنا خيلنا إن لم تروْها تثير النقع موعدها كداء[6]
ينازعن الأعنة مصغيات على أكتافها الأَسَل الظماء[7]
تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء[8]

= والسماء لفظ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء المعروفة ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء ، لحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم فى جمعه سمى ، وهم يقولون فى جمع السماء : سماوات وأسمية ، فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين .

(١) النعم : الإبل ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل ، والشاء والشوى اسم للجميع كالضأن والضنين والإبل والإبيل ، والمعز والمعيز ، وأما الشاة ، فليست من لفظ الشاء لأن لام الفعل منها هاء وأبو الحسحاس : حى من بنى أسد .

(٢) شعثاء : اسم امرأة وهى زوجته، وبنت كامن الأسلمية .

(٣) الخبيئة : الخمر المضنون بها، وبيت رأس : موضع بالاردن .

(٤) نوليها الملامة : نرجع إليها اللوم . المغث : الضرب بالكف . واللحاء : السباب .

(٥) ينهنهنا : يزجرنا . (٦) كداء : موضع بمكة .

(٧) المصغيات : المنحرفة للطعن . الأسل : الرماح .

(٨) متمطرات : متسابقات . يلطمهن : يضربهن . يقول السهيلى فى الروض : قال ابن دريد فى الجمهرة كان الخليل يروى « يطلهن » وينكر « يلطمهن » ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما على الخيل من الغبار . انظر الروض ج ٤ ص ١١٨ .

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء[1]
وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن نفع البلاء[2]
شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لانقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جنداً هم الأنصار عرضتها اللقاء[3]
لنا فى كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء[4]
الا أبلغ أبا سفيان عنى مغلغلة فقد برح الخفاء[5]
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدار سادتُها الإماء
هجوت محمداً وأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجُوه ولستَ له بكفء فشركما لخيركما الفداء[6]
هجوت مباركا برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ؟!
فإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لاتكدره الدلاء

(١) كفاء: مثل . (٢) البلاء : الاختبار .
(٣) عرضتها : عادتها . (٤) نحكم: نمنع .
(٥) المغلغة : الرسالة المكتوبة .
(٦) فشركما لخيركما الفداء : فى ظاهر اللفظ بشاعة . لأن المعروف أن لايقال هو شرهما إلا وفى كليهما شر ، وكذلك : شر منك ، ولكن سيبويه قال فى كتابه : تقول مررت برجل شر منك : إذا نقص عن أن يكون مثله ، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ، ونحو منه قوله عليه السلام : « شر صفوف الرجال آخرها » يريد : نقصان حظهم عن حظ الأول ، كما قال سيبويه ، ولايجوز أن يريد التفضيل فى الشر . والله أعلم .

قال ابن هشام : قالها حسان يوم الفتح . ويروى : « لسانى صارم لاعتب فيه » .

وبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنيم الديلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أأنت الذى تهدى معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبُرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد(١)
تعلمْ رسول الله أنك مدركى وأن وعيداً منك كالأخذ باليد(٢)
تعلمْ رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد(٣)

(١) الخال : نوع من البرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء. والسابق : الفرس السابق . والمتجرد : بهذا المعنى أيضاً .

(٢) هذا البيت معناه من أحسن المعانى . وقد أخذه النابغة فقال :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن فى حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

فالشطر الأول كالبيت الأول من قول النابغة ، والشطر الثانى كالبيت الثانى ، لكنه أطبع منه ، وأوجز . وقول النابغة كالليل ؛ فيه من حسن التشبيه ما ليس فى قولى الديلى ، إلا أنه يسمج مثل هذا التشبيه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه نور وهدى ، فلا يشبه بالليل ، وإنما حسن فى قول النابغة أن يقول كالليل ، ولم يقل كالصبح ، لأن الليل ترهب غوائله ، ويحذر من إدراكه ما لا يحذر من النهار ، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى ، فقال فى هربه من ابن عباد :

كأن بلاد الله وهى عريضة تشد بأقصاها على الأناملا
فأين مفر المرء عنك بنفسه إذا كان يطوى فى يديك المراحلا

(٣) الصرم : البيوت المجتمعة . متهمين ساكنين تهامة . منجد : من سكن فى نجد .

تعلم بأن الركب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجوته ... فلا حملت سوطى إلىّ إذن يدى
سوى أنى قد قلت ويل ام فتية ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد(١)
أصابهم من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزت عبرتى وتبلدى(٢)
فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيا ... بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذويب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعا فإلا تدمع العين أكمد
وسلمى ، وسلمى ليس حى كمثله ... وإخوته وهل ملوك كأعبد ؟!
فإنى لا دينا فتقت ولا دما ... هرقت تبينْ عالم الحق واقصد

فأجابه بديل بن عبد مناف بن أم أصرم ، فقال :

بكى أنس رَزنا فأعوله البكا ... فألا عديا إذ تطل وتبعد(٣)
بكيت أبا عَبس لقرب دمائها ... فتُعذر إذ لايوقد الحرب موقد
أصابهم يوم الخنادم فتية ... كرام فسَلْ ، منهم نفيل ومعبد(٤)
هنالك إن تسفح دموعك لاتُلم ... عليهم وإن لم تدمع العين فاكمَدوا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

نفى أهل الحبلّق كل فج ... مزينة غدوة وبنو خُفاف(٥)

---

(١) الطلق : الأيام السعيدة . (٢) تبلدى : تحيرى .
(٣) تطل : يطال دمها ويصير هدرا .
(٤) الخنادم : أراد يوم الخندمة . والخندمة : جبل بمكة .
(٥) الحباق : أرض يسكنها قبائل من مزينة ، وقيس ، والحباق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحباق أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد ابن طابخة ، ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وأختها : الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه ما معناه : من منكن تنبحها كلاب الحوأب . فنبحت الكلاب عائشة رضى الله عنها فى قصة وقعة الجمل ، وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع ، وبنو خفاف بطن من سليم .

ضربناهم بمكة يوم فتح النـــبى الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سـليم وألف من بنى عثمان واف(١)
نطا أكتافهم ضربا وطعنا ورشقا بالمريشة اللطاف(٢)
ترى بين الصفوف لها حفيفا كما انصاع الفواق من الرصاف(٣)
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا غداة الروع منا بانصراف

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه وشعارهم يوم اللقاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم ضنك كأن الهام فيه الحنتم(٤)
جرت سنابكها بنجد قبلها حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنــه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم(٥)
عود الرياسة شامخ عرنينه متطلع ثغر المكارم خضرم(٦)

إسلام عباس بن مرداس : قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده ، وهو حجر كان يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أى بنى ، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس يوما عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول :

---

(١) بسبع : أى بسبعمائة . (٢) المريشة : السهام ذات الريش وهى أسرع فى الرمى .
(٣) الفواق : الفوق وهو طرف السهم . والرصاف جمع رصفة : ما يلوى على طرف السهم . (٤) الضنك : الضيق . الهام : الرءوس . الحنتم : الحنظل .
(٥) مزحم كثير المزاحمة ، يقصد أن حظهم عظيم .
(٦) العود فى الأصل المسن من الإبل ، ويريد به هنا أنه قديم فى المجد معلقا . العرنين : طرف الأنف . الخضرم : الكريم .

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد

فحرق عباس ضمار، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

قال ابن هشام: وقال جعدة بن عبد الله الخزاعى يوم فتح مكة:

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل لحيْن له يوم الحديد متاح[1]
أتيحت له من أرضه وسمائه لتقتله ليلا بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا ولِفتا سددناه وفج طلاح[2]
خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوى عضد من خيلنا ورماح

وهذه الأبيات فى أبيات له:

وقال بجيد بن عمران الخزاعى.

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام صحاب الهيدب المتراكب[3]
وهجرتنا فى أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير مُملٍ وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لندرك ثأراً بالسيوف القواضب[4]

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة[5]

ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى

---

(١) الحين الهلاك. متاح: مقدر.

(٢) غزال اسم موضع، منعه هنا من التنوين وقد ينون. ولفت: موضع أيضا، وكذلك فج طلاح.

(٣) الهيدب: القريب من الأرض. المتراكب: الذى يركب بعضه بعضا.

(٤) القواضب: القواطع.

(٥) وتعرف أيضاً بغزوة الغميصاء وهو ماء لبني جذيمة. كما ذكر السهيلي فى الروض الأنف ج ٤ ص ١٢٠.

الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمى فى ذلك :

فإن تك قد أمّرت فى القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره نصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومدلج بن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! مابعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : ياجحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

الرسول يتبرأ من فعل خالد : قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأنى لقمت

لقمة من حيس(١) فالتذذت طعمها ، فاعترض فى حلق منها شىء حين ابتلعتها ، فأدخل على يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله ، هذه سرية من سراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ، ويكون فى بعضها اعتراض ، فتبعث عليا فيسهله .

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفلت رجل من القوم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة(٢) ، فنهمه(٣) خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ؛ فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم ، مولى أبى حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا على ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك؛ فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب(٤) ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر : فقال أصبت وأحسنت ! قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليرى مما تحت منكبيه ، يقول : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد ، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالدا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

---

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن ودقيق ويعجن .
(٢) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .
(٣) نهمه : زجره .
(٤) ميلغة وميلغ : مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب ، والجمع ميالغ وموالغ .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : لما أتاهم خالد ، قالوا : صبأنا صبأنا[١] .

قال ابن إسحاق : وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى مايصنع خالد ببنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلت قاتل أبى ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا ياخالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته .

ما كان بين قريش وبنى جذيمة فى الجاهلية : وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة ، وعفان بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس قد خرجوا تجارا إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقتل عوف ، والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

وقد قال قائل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلمى :

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا ... للاقت سليم يوم ذلك ناطحا
لماصعهم بُسر وأصحاب جحدم ... ومُرة حتى يتركوا البرك ضابحا[٢]
فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى ... أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا[٣]

---

(١) من معانى صبأ : خرج من دين إلى دين ويقصدون أنهم تركوا دينهم ودخلوا فى الإسلام.
(٢) المماصعة : مضاربة بالسيوف . البرك هنا : الإبل الباركة .
(٣) الغميصاء : بلد .

ألظت بخطّاب الأيامى وطلقت غداتئذ منهن من كان ناكحا[1]

قال ابن هشام: قوله « بسر »، « وألظت بخطاب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمى :

دعى عنك تقوال الضلال كفى بنا لكبش الوغى فى اليوم والأمس ناطحا
فخالد أولى بالتعذر منكم غداة علا نهجا من الأمر واضحا
مُعانا بأمر الله يزجى إليكم سوانح لاتكبو له وبوارحا
نَعَوْا مالكا بالسهل لما هبطنه عوابس فى كابى الغبار كوالحا[2]
فإن نك أثكلناك سلمى فمالك تركتم عليه نائحات ونائحا

وقال الجحاف بن حكيم السلمى :

شهدن مع النبى مسومات حنينا وهى دامية الكلام[3]
وغزوة خالد شهدت وجرت سنابكهن بالبلد الحرام
نعرض للطعان إذا التقينا وجوها لاتعرض اللطام
ولست بخالع عنى ثيابى إذا هز الكماة ولا أُرامى
ولكنى يجول المهر تحتى إلى العلوات بالعضب الحسام

خبر ابن أبى حدرد بنى جذيمة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس، عن الزهرى، عن ابن أبى حدرد الأسلمى، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد ابن الوليد، فقال لى فتى من بنى جذيمة، وهو فى سنى، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة[4]، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يافتى ؛ فقلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة، ثم تردنى بعد، فتصنعوا بى مابدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ماطلبت . فأخذت برمته فقدته بها، حتى وقف عليهن، فقال : اسلمى حبيش، على نفد من العيش[5] :

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق[6]

---

(١) ألظت : لزمت .
(٢) كابى : مرتفع. الكوالح العوابس .
(٣) الكلام : الجراح .
(٤) الرمة : الحبل البالى .
(٥) نفد العيش : فناؤه .
(٦) الحلية والخوانق : موضعان .

ألم يك أهلا أن ينوَّل عاشق   تكلف إدلاج السرى والوداق[1]
فلا ذنب لى قد قلت إذ أهلنا معا   أثيبى بود قبل إحدى الصفائق[2]
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى   وينأى الأمير بالحبيب المفارق
فإنى لا ضيعت سر أمانة   ولا راق عينى عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشيرة شاغل   عن الود إلا أن يكون التوامق[3]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الأسلمى قال : قالت : وأنت فحييت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا تترى . قال : ثم انصرفت به . فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جذيمة :

جزى الله عنا مدلجا حيث أصبحت   جزاءة بؤسى حيث سارت وحلت
أقاموا على أقضاضنا يقسمونها   وقد نهلت فينا الرماح وعلت
فوالله لولا دين آل محمد   لقد هربت منهم خيول فشلت
وما ضرهم أن لايعينوا كتيبة   كرجل جراد أرسلت فاشمعلت[4]
فإما ينيبوا أو يثوبوا لأمرهم   فلا نحن نجزيهم بما قد أضلت

فأجابه وهب ، رجل من بنى ليث ، فقال :

دعونا إلى الإسلام والحق عامراً   فما ذنبنا فى عامر إذ تولت
وما ذنبنا فى عامر لا أبا لهم   لأن سفهت أحلامهم ثم ضلت

وقال رجل من بنى جذيمة :

ليهنئْ بنى كعبٍ مقدم خالد   وأصحابه إذ صبحتنا الكتائب

---

(١) الإدلاج : السير ليلا . الوداق : جمع وديقة : شدة الحر .
(٢) الصفائق : النوائب .   (٣) التوامق : شدة الحب .
(٤) رجل الجراد : الجماعة منهم . اشمعلت : تفرقت .

فلا ترة يسعى بها ابن خويلد   وقد كنتَ مكفيا لو انك غائب[1]
فلا قومنا ينهون عنا غواتهم   ولا الداء من يوم الغميصاء ذاهب

وقال غلام من بنى جذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد:

رخّين أذيال المروط وأربعن   مَشْىَ حييات كأن لم يفزعن[2]
إن تمنع اليوم نساء تمنعن

وقال غلمة من بنى جذيمة ، يقال لهم بنو مساحق ، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم :

قد علمت صفراء بيضاء الإطل   يحوزها ذو ثَلة وذو إبل[3]
لأُغنين اليوم ما أغنى رجل

وقال الآخر :

قد علمت صفراء تلهى العرسا   لا تملأ الحيزوم منها نهسا[4]
لأضربن اليوم ضربا وَعسا   ضرب المُحلّينَ مخاضا قعسا[5]

وقال الآخر :

أقسمت ما إن خادر ذو لبده   شثن البنان فى غداة بَرْدَه[6]
جهم المحيا ذو سبال ورده   يرزم بين أيكة وجحده[7]
ضارٍ بتأكال الرجال وحده   بأصدق الغداة منى نجده

---

(١) الترة : طلب الثأر .   (٢) المروط : أثواب من خز . وأربعن : أقمن .

(٣) الإطل : الخاصرة . ثلة : جماعة الغنم .

(٤) الحيزوم : وسط الصدر . النهس : نهش اللحم بمقدم الأسنان .

(٥) الوعس: السريع . المحلين : الخارجين من الحرم إلى الحل . المخاض :الإبل الحوامل القعس : المتنعة عن السير .

(٦) الخادر : الأسد المختبئ فى خدره . شثن : غليظ .

(٧) السبال : شارب الأسد . يرزم : يصيح ، الأيكة : الشجرة الكثيفة الأغصان والجحدة : قليلة الأغصان .

خالد يهدم العزى : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمى مسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل[1] الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عز شدى شدة لا شوى لها   على خالد ألقى القناع وشمرى[2]
ياعز إن لم تقتلى المرء خالداً   فبوئى بإثم عاجل أو تنصرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان :

غزوة حنين فى سنة ثمان — بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس[3] اجتمع إليه الناس ،

(١) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .   (٢) لاشوى لها : أى لاتذر شيئا .

(٣) ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشىء وطساً إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة فى حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التنور ، وفى غزوة أوطاس قال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق إليها صلى الله عليه وسلم راجع الروض الأنف وراجع أيضاً المجازات النبوية للشريف الرضى بتحقيقنا . طبعة الحلبى .

وفيهم دريد بن الصمة فى شجار[1] له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس قال : نعم مجال الخيل ! لاحزن ضرس[2] ، ولا سهل دهس[3] ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير . وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودعى له ، فقال : يامالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له مابعده من الأيام . مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فانقض به[4] . ثم قال : راعى ضأن ، والله ! وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال: مافعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجذعان[5] من عامر ، لاينفعان ولا يضران ؛ يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة[6] هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعاليا قومهم ، ثم الق الصباء[7] على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال: والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيعننى يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها واضع[8]
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع[9]

---

(١) الشجار : مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه .

(٢) الحزن . المرتفع . ضرس : مافيه حجارة مدببة .

(٣) دهس : لين التراب . (٤) انقض به : زجره .

(٥) الجذعان : مثنى جذع . الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة . (٦) البيضة : الجماعة . (٧) الصباء : يقصد بهم المسلمون .

(٨) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .

(٩) الوطفاء : طويلة الشعر . والشاة : الوعل . صدع : متوسط بين العظيم والحقير .

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« يا ليتنى فيها جذع »

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد .

قال : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث : أن مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدالله بن أبى حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد . فقال ابن أبى حدرد : إن كذبتنى فربما كذّبتَ بالحق ياعمر ، فقد كذبت من هو خير منى . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت ضالا فهداك الله ياعمر .

استعارة أدراع صفوان : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا ، فقال صفوان : أغصبا يامحمد؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل.

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفا ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس : فقال عباس بن مرداس السلمى :

أصابت العام رِعلا غولُ قومهم ... وسط البيوت ولون الغول ألوان[1]
يا لهف أم كلاب إذ تبيتهم ... خيل ابن هوذة لا تُنهى وإنسان[2]
لا تلفظوها وشدوا عقد ذمتكم ... أن ابن عمكم سعد ودهمان[3]
لن ترجعوها وإن كانت مجللة ... ما دام فى النعم المأخوذ ألبان
شنعاء جُلِّل من سوآتها حضن ... وسال ذو شوغر منها وسلوان[4]
ليست بأطيب مايشتوى حذف ... إذ قال : كل شواء العير جُوفان[5]
وفى هوازن قوم غير أن بهم ... داء اليمانى فإن لم يغدروا خانوا
فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم ... ولو نهكناهم بالطعن قد لانوا
أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها ... منى رسالة نصح فيه تبيان
أنى أظن رسول الله صابحكم ... جيشاً له فى فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تارككم ... والمسلمون عباد الله غسان
وفى عضادته اليمنى بنو أسد ... والأجربان بنو عبس وذبيان[6]
تكاد ترجف منه الأرض رهبته ... وفى مقدمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة .

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، فى هذا اليوم ،

---

(1) رعل : قبيلة من سليم . وفى الحديث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو على رعل وذكوان وعصية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من السيرة . الغول : الداهية .

(2) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بنى نصر . وقيل هم من بنى جشم بن بكر .

(3) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(4) حضن : جبل فى نجد . ذو شوغر وسلوان : واديان .

(5) حذف : إسم رجل . العير : حمار الوحش . الجوفان : غرموله .

(6) سماهما بالأجربين تشبيها بالأجرب الذى لا يقرب .

وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة

ذات أنواط : قال ابن إسحـــاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدؤلى ، عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك ، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما . قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون » . إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم .

ثبات الرسول وبعض الصحابة : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف حطوط ، إنما تنحدر فيه انحداراً ، قال : وفى عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجـــل واحد ، وانشمر الناس راجعين ، لا يلوى أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إلىّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شىء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على بن أبى طالب والعباس ابن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد ، قتل يومئذ(١) .

---

(١) إن قيل : كيف فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبق معه منهم إلا ثمانية ، والفرار من الزحف من الكبائر ، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل . قلنا : لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا فى يوم بدر ، كذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله ابن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا ، فإنه قال : « ومن يولهم يومئذ دبره » فيومئذ إشارة إلى =

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبي سفيان المغيرة ، وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ، ولا يعد ابن أبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعه في كنانته . وصرخ جبلة بن الحنبل — **قال** ابن هشام : كلدة بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن .

حسان يهجو كلدة : قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة :

رأيت سواداً من بعيـــد فراعني ... أبو حنبل ينزو على أم حنبـــل

كأن الذي ينزو به فوق بطنهـــا ... ذراع قلوص من نتاج ابن عزهل

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية ، وكان أخا كلدة لأمه .

شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول : قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمدا . قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

= يوم بدر ، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارين يوم أحد وهو قوله : «ولقد عفا الله عنهم» وكذلك أنزل يوم حنين : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم » إلى قوله : « غفور رحيم » وفي قول ابن سلام : كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر ، وأيضا فإن المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا لحينهم ، وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين نصل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها .

النصر : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها ، قال : وكنت امرءا جسيما شديد الصوت ، قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يلوون على شىء ، فقال: ياعباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة ، قال : فأجابوا : لبيك ، لبيك ! قال فيذهب الرجل ليثنى بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ، ويخلى سبيله ، فيؤم الصوت ، حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار . ثم خلصت أخيرا : يا للخزرج . وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه . فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمى الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على ابن أبى طالب من خلفه ، فضرب عرقوبى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله مارجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفر بغلته(١) ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يارسول الله .

أم سليم فى المعركة : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله

---

(١) الثفر : سير من جلد يوضع فى مؤخر السرج .

صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سليم بنت ملحان[١] وكانت مع زوجها أبى طلحة[٢] وهى حازمة وسطها ببرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جمل أبى طلحة ، وقد خشيت أن يعزها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أم سُليم ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة : ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرُّمَيْصاء .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين وجه إلى حنين ، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك ابن عوف يرتجز بفرسه :

أقدم محاج إنه يوم نكر ... مثلى على مثلك يحمى ويكر
إذا أضيع الصف يوما والدُّبر ... ثم احزألت زمر بعد زمر[٣]
كتائب يكل فيهن البصر ... قد أطعن الطعنة تقذى بالسبر[٤]
حين يذم المستكين المنجحر ... وأطعن النجلاء تعوى وتهر[٥]
لها من الجوف رشاش منهمر ... تفهق تارات وحينا تنفجر[٦]
وثعلب العامل فيها منكسر ... يازيد يابن هَمْهَمٍ أين تفر[٧]
قد نفد الضرب وقد طال العمر ... قد علم البيض الطويلات الخمر
أنى فى أمثالها غير غُمر ... إذ تخرج الحاصن من تحت الستر

(١) واسمها : مليكة . ويقال : رميلة، وقيل سهيلة .

(٢) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٣) احزألت : ارتفعت .

(٤) السبر : جمع سبير وهو الفتيل يسبر به الجرح .

(٥) النجلاء : الطعنة الواسعة . تعوى وتهر : أى يسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير .

(٦) تفهق : تنفتح .

(٧) الثعلب : عصا الرمح الداخلة فى السنان . العامل : أعلى الرمح .

وقال مالك بن عوف أيضا :

أقدم محُاجُ إنها الأساوره ولا تغرنك رِجل نادره[1]

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم .

من قتل قتيلا فله سلبه : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدث عن أبى قتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد عن أبى قتادة ، قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده فقطعتها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم — ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام — وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سَلَبه ، فقلت : يارسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب ، فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسلب ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تعمد إلى أسد من أسد الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سلبه ؟! اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق فاردد عليه سلبه[2] . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مخرفا[3] فإنه لأول مال اعتقدته.

---

(١) الأساورة : قادة الفرس . النادرة : أى التى قد ندرت أى انفصلت وبعدت .

(٢) وفى هذا الحديث من الفقه أن السلب للقاتل حكماً شرعياً جعل ذلك الإمام له ، أو لم يجعله ، وهو قول الشافعى . وقال مالك : إنما ذلك إلى الإمام له أن يقول بعد معمعة الحرب : من قتل قتيلا فله سلبه ، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى .

(٣) مخرف بفتح الراء وكسرها نخلة وأما كسر الميم فإنما هو للمخرف ، وهى الآلة التى تخترف بها الثمرة أى تجتنى . وبفتح الميم معناه البستان من النخل ، هكذا فسروه ، وفسره الحربى ، وأجاد فى تفسيره ، فقال : المخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر . فما فوق ذلك ، فهو بستان أو حديقة ، ويقوى ماقاله الحربى ماقاله أبو حنيفة الدينورى ، قال : المخرف : مثل الخروفة : هى النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله ، وأنشد :

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال : ويقال للخروفة : خريفة أيضاً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، أنه حُدث عن جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت ـ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون ـ مثل البجاد[1] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث ، قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسوله صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خيل الله خيل اللات　　　والله أحــق بالثبات

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غلبت خيل الله خيل اللات　　　وخيله أحــق بالثبات

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار[2] ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل[3] ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا غرل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت : لاتقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختنين كما ترى .

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند

---

(١) البجاد : الكساء .　　(٢) هو عوف بن الربيع .

(٣) الأغرل : غير المختتن .

رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غيرة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كبة ، يقال له الجلاح: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هنيدة الحارث بن أويس .

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخار وحبسه قومه للموت :

ألا من مبلغ غيلان عنى ... وسوف - إخال - يأتيه الخبير[1]
وعروة إنما أهدى جوابا ... وقولا غير قولكما يسير
بأن محمداً عبد رسول ... لرب لايضل ولا يجور
وجدناه نبيا مثل موسى ... فكل فتى يخايره مخير
وبئس الأمر أمر بنى قسى ... بوج إذ تقسمت الأمور[2]
أضاعوا أمرهم ولكل قوم ... أمير والدوائر قد تدور
فجئنا أسد غابات إليهم ... جنود الله ضاحية تسير[3]
يؤم الجمع جمع بنى قسى ... على حنق نكاد له نطير
وأقسم لو هم مكثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغوروا[4]
فكنا أسد لية ثم حتى ... أبحناها وأسلمت النصور[5]
ويوم كان قبل لدى حنين ... فأقلع والدماء به تمور
من الأيام لم تسمع كيوم ... ولم يسمع به قوم ذكور

(١) الفعل المستقبل هو : يأتيه ، وإن كان حرف (سوف) داخلا على إخال فى اللفظ فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثانى كما قال :

وما أدرى وسوف إخال أدرى

وذلك أن إخال فى معنى : أظن ، وليس يريد أنه يظن فيما يستقبل ، وإنما يريد أن يخال الآن أن سيكون ذلك . (٢) قسى : اسم ثقيف . وج : واد بالطائف .

(٣) ضاحية : ظاهرة . (٤) لم يغوروا : لم يذهبوا .

(٥) لية : موضع قريب من الطائف . النصور : قيل إنها جمع ناصر وقيل : هم بنو نصر من هوازن . رهط مالك بن عوف النصرى يقال لهم النصور ، كما يقال لبنى المنذر : المناذرة .

قتانا فى الغبار بنى حطيط ... على راياتها والخيل زور(١)
ولم يك ذو الخمار رئيس قوم ... لهم عقل يعاقب أو مكير
أقام بهم على سنن المنايا ... وقد بانت لمبصرها الأمور
فأفلت من نجا منهم جريضاً ... وقتل منهم بشر كثير(٢)
ولا يغنى الأمور أخو التوانى ... ولا الغلق الصُّرَيِّرة الحصور(٣)
أحانهم وحان وملكوه ... أمورهم وأفلتت الصقور
بنو عوف تميح بهم جياد ... أهين لها الفصافص والشعير(٤)
فلولا قارب وبنو أبيه ... تقسمت المزارع والقصور
ولكن الرياسة عمموها ... على يمن أشار به المشير
أطاعوا قاربا ولهم جدود ... وأحلام إلى عز تصير
فإن يهدوا إلى الإسلام يلفوا ... أنوف الناس ما سمر السمير
وإن لم يسلموا فهم أذان ... بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكّت بنى سعد وحرب ... برهط بنى غزية عنقفير(٥)
كأن بنى معاوية بن بكر ... إلى الإسلام ضائنة تخور
فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد برأت من الإحن الصدور
كأن القوم إذ جاءوا إلينا ... من البغضاء بعد السلم عور

قال ابن هشام : غيلان : غيلان بن سلمة الثقفى ، وعروة : عروة بن مسعود الثقفى .

مقتل دريد : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

(١) زور : مائلة . (٢) الجريض : من يغص بريقه . والجمع : جرضى .

(٣) الغلق : ضيق الخلق . الصريرة : مصغر الصرورة وهو الذى لم يتزوج ، والحصور : الذى لا يأتى النساء .

(٤) تميح : تمشى مشيا مستويا . الفصافص : جمع فصفصة : النبات الذى تأكله المواشى رطبا . (٥) العنقفير : الداهية .

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرىء القيس ، وكان يقال له ابن الدغنة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لذعة فيما قال ابن هشام - دريد بن الصمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شجار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير . وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئا ، فقال : بئس ماسلحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل فى الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانه[1] وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا .

فقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريدا :

لعمرك ماخشيت على دريد ... ببطن سُمَيْرة جيش العناق[2]
جزى عنه الإله بنى سليم ... وعقتهم بما فعلوا عقاق
وأسقانا إذا قدنا إليهم ... دماء خيارهم عند التلاقى
فرب عظيمة دافعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقى
ورب كريمة أعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثاق
وُرب منوّه بك من سليم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق[3]
فكان جزاؤنا منهم عقوقا ... وهمًّا ماع منه مخ ساقى
عفت آثار خيلك بعد أين ... بذى بقر إلى فيف النهاق[4]

وقالت عمرة بنت دريد أيضاً

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا ... فظل دمعى على السربال ينحدر
لولا الذى قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تأتمر
إذن لصبحهم غبا وظاهرة ... حيث استقرت نواهم جحفل ذَفِر[5]

---

(١) العجان : الاست . (٢) سميرة : واد قرب حنين . العناق : الأمر الشديد .
(٣) الرماق : بقية الحياة . (٤) ذو بقر : موضع . فيف : قفر . النهاق : موضع .
(٥) الغب فى الأصل : أن ترد الإبل الماء يوما بعد يوم . وظاهرة : أن ترده كل يوم . ذفر : ذو رائحة كريهة من صدأ الحديد .

قال ابن هشام : ويقال اسم الذى قتل دريدا : عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجه قبل أوطاس أباعامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال فرمى أبو عامر بسهم فقتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم . فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أباعامر الأشعرى بسهم : فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال:

إن تسألوا عنى فإنى سلمه ابن سمادير لمن توسمه
أضرب بالسيف رءوس المسلمه

وسمادير : أمه .

واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبدالله بن قيس - وهو الذى يقال له ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب - قال : يارسول الله هلكت بنو رئاب . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجبر مصيبتهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس ؛ فقال مالك بن عوف فى ذلك :

ولولا كرتان على مُحاج لضاق على العضاريط الطريق(١)
ولولا كر دهمان بن نصر لدى النخلات مندفع الشديق(٢)
لآبت جعفر وبنو هلال خزايا محقبين على شقوق(٣)

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم . ومايدلك على ذلك قول دريد بن الصمة فى صدر هذا الحديث : مافعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدها منهم أحد . وجعفر بن كلاب . وقال مالك بن عوف فى هذه الأبيات : « لآبت جعفر وبنو هلال » .

قال ابن هشام : وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية ، فقال لأصحابه : ماذا

---

(١) محاج : فرس مالك : العضاريط : الأجراء .

(٢) الشديق : واد من وديان الطائف .

(٣) محقبين : مردفين . شقوق : أى على مشقة .

ترون ؟ فقالوا : نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بوادهم[1] ؛ فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ؛ فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما عارضى رماحهم ، أغفالا[2] على خيلهم فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى الثنية سلكوا طريق بنى سليم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارسا طويل الباد ، واضعا رمحه على عاتقه ، عاصبا رأسه بملاءة حمراء؛ فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم ، فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم ، فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نسّيتنى ما كنت غير مصابة ولقد عرفت غداة نعف الأظرب[3]
أنى منعتك والركوب محبب ومشيت خلفك مثل مشى الأنكب[4]
إذ فر كل مهذب ذى لمة عن أمــه وخليله لم يعقب

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه : أن أبا عامر الأشعرى لقى يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر : ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ؛ فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه؛ فقال الرجل : اللهم لاتشهد علىّ ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعد فحسن إسلامه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هـذا شريد أبى عامر . ورمى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبته ، فقتلاه . وولى الناس أبو موسى الأشعرى فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جشم بن معاوية يرثيهما :

---

(١) بوادهم : جمع باد وهو باطن الفخذ. (٢) أغفالا : غير معلمين بعلامة .
(٣) النعف أسفل الجبل . الأظرب : الجبل الصغير .
(٤) الأنكب : المائل إلى جهة .

إن الرزية قتل العلاء ... وأوفى جميعاً ولم يُسندا [١]
هما القاتلان أبا عامر ... وقد كان ذا هبة أربدا [٢]
هما تركاه لدى معرك ... كأن على عطفه مجسدا [٣]
فلم تر فى الناس مثليهما ... أقل عثارا وأرمى يدا

المنهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصفون [٤] عليها فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرك خالداً ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفا [٥] .

الشيماء أخت الرسول : قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قدرتم على بجاد ، رجل من بنى سعد بن بكر ، فلا يفلتنكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنفوا عليها فى السياق : فقالت للمسلمين : تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ؛ فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يارسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ، قال : وما علامة ذلك ؟ قالت: عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيرها ، وقال : إن أحببت فعندى محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك [٦] وترجعى إلى قومك فعلت ، فقالت بل تمتعنى وتردنى إلى قومى فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردها إلى قومها : فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

---

(١) لم يسندا : لم يبق فيهما رمق . (٢) ذا هبة : له سيف ذو هبة : والهبة الاهتزاز .
(٣) المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .
(٤) متقصفون : مجتمعون فى ازدحام . (٥) العسيف : الأجير .
(٦) أى أعطيك ما يمتعك أى ما يكون فيه متعتك وانتفاعك .

ما أنزل الله فى حنين : قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين : «لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم» : . إلى قوله «وذلك جزاء الكافرين» .

شهداء حنين : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين :

من قريش ثم بنى من هاشم : أيمن بن عبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمح به فرس له يقال له الجناح ، فقتل .

ومن الأنصار : سراقة بن الحارث بن عدى ، من بنى العجلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

سبايا حنين وأموالها : ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال إلى الجعرانة ، فحبست بها .

ما قيل من الشعر يوم حنين : وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم حنين :

لولا الإله وعبده وليتم ... حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حبا لنا أقراننا ... وسوابح يَكْبُون للأذقان(١)
من بين ساع ثوبه فى كفه ... ومقطر بسنابك ولبان (٢)
والله أكرمنا وأظهر ديننا ... وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرق جمعهم ... وأذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه ... يدعون : يا لكتيبة الإيمان
أين الذين هم أجابوا ربهم ... يوم العريض وبيعة الرضوان

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى . حبا : اعترض : سوابح : أى خيل سوابح : وهى المسرعة . يكبون : يسقطون .

(٢) مقطر : ملقى على قطره ، أى جنبه . ولبان الفرس : صدره .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس فى يوم حنين :

إنى والسوابح يوم جمع | وما يتلو الرسول من الكتاب
لقد أحببت مالقيت ثقيف | بجنب الشعب أمس من العذاب
هم رأس العدو من اهل نجد | فقتلهم ألذ من الشراب
هزمنا الجمع جمع بنى قسى | وحكت بركها ببنى رئاب (١)
وصرما من هلال غادرتهم | بأوطاس تعفر بالتراب(٢)
ولو لاقين جمع بنى كلاب | لقام نساؤهم والنقع كابى
ركضنا الخيل فيهم بين بس | إلى الأورال تنحط بالنهاب(٣)
بذى لجب رسول الله فيهم | كتيبته تعرض للضراب

قال ابن هشام : قوله « تعفر بالتراب » : عن غير ابن إسحاق .

فأجابه عطية بن عُفَيْف النصرى ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخرة رفاعة فى حنين | وعباس بن راضعة اللجاب (٤)
فإنك والفجار كذات مرط | لربتها وترفل فى الإهاب

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حنين . ورفاعة من جهينة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النُّبآء إنك مرسل | بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة | فى خلقه ومحمداً سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم | جند بعثت عليهم الضحاكا
رجُلا به ذرب السلاح كأنه | لما تكنفه العدو يراكا (٥)
يغشى ذوى النسب القريب وإنما | يبغى رضا الرحمن ثم رضاكا
أنبيك أنى قد رأيت مكره | تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة | يفرى الجماجم صارما بتاكا (٦)

---

(١) البرك : الصدر ، ويريد بحكة بركها : شدة وطأة الحرب .
(٢) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحى .
(٣) بس والأورال : مكانان تنحط . تخرج أنفاسها عالية . (٤) اللجاب : العنز .
(٥) الذرب : الحدة . (٦) بتاك : قاطع .

يغشى به هام الكماة ولو ترى … منه الذى عاينت كان شفاكا
وبنو سليم معنقون أمامه … ضرباوطعنا فى العدو دراكا[1]
يمشون تحت لوائه وكأنهم … أسد العرين أردن ثم عراكا[2]
ماير تجون من القريب قرابة … إلا لطاعة ربهم وهواكا
هذى مشاهدنا التى كانت لنا … معروفة وولينا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضا :

إما ترىْ يا أم فروة خيلنا … منها معطلة تقاد وظلع[3]
أوهى مقارعة الأعادى دمها … فيها نوافذ من جراح تنبع
فلرب قائلة كفاها وقعنا … أزم الحروب فسربها لايفزع[4]
لاوفد كالوفد الأولى عقدوا لنا … سببا بحبل محمد لايقطع
وفد أبو قطن حزابة منهم … وأبو الغيوث وواسع والمقنع
والقائد المائة التى وفى بها … تسع المئين فتم ألف أقرع[5]
جمعت بنو عوف ورهط مخاشن … ستا وأجلب من خفاف أربع
فهناك إذ نصر النبى بألفنا … عقد النبى لنا لواء يلمع
فزنا برايته وأورث عقده … مجد الحياة وسودداً لاينزع
وغداة نحن مع النبى جناحه … ببطاح مكة والقنا يتهزع[6]
كانت إجابتنا لداعى ربنا … بالحق منا حاسر ومقنع
فى كل سابغة تخير سردها … داود إذ نسج الحديد وتبع[7]
ولنا على بئرى حنين موكب … دمغ النفاق وهضبة ماتقلع
نصر النبى بنا وكنا معشراً … فى كل نائبة نضر وتنفع

---

(١) معنقون : مسرعون . دراك : متتابع .
(٢) العراك : المداعمة .
(٣) الظلع : العرج
(٤) الأزم : الشدة .
(٥) ألف أقرع : أى ألف بالتمام .
(٦) يتهزع : يضطرب .
(٧) السابغة : الدروع الكاملة . السرد : النسج . تبع : لقب ملوك اليمن القدماء

ذدنا غداتئذ هوازن بالقنا … والخيل يغمرها عجاج يسطع
إذ خاف حدهم النبي وأسندوا … جمعا تكاد الشمس منه تخشع
تدعى بنو جشم وتدعى وسطه … أفناء نصر والأسنة شرع[١]
حتى إذا قال الرسول محمد … أبنى سليم قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحف بأسهم … بالمؤمنين وأحرزوا ماجمّعوا[٢]

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

عفا مجدل من أهله فتالع … فطلا أريك قد خلا فالمصانع[٣]
ديار لنا يا جُمْل إذ جل عيشنا … رخى وصرف الدار للحى جامع
حبيبة ألوت بها غربة النوى … لبين فهل ماض من العيش راجع
فإن تبتغى الكفار غير ملومة … فإنى وزير للنبى وتابع
دعانى إليهم خير وفد علمتهم … خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم … لبوس لهم من نسج داود رائع
نبايعه بالأخشبين وإنما … يد الله بين الأخشبين نبايع[٤]
فجسنا مع المهدى مكة عنوة … بأسيافنا والنقع كاب وساطع[٥]
علانية والخيل يغشى متونها … حميم وآن من دم الجوف ناقع[٦]
ويوم حنين حين سارت هوازن … إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع
صبرنا مع الضحاك لايستفزنا … قراع الأعادى منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا … لواء كخذروف السحابة لامع[٧]

---

(١) الأفناء : الجماعة ليست من أصل واحد . (٢) أجحف : نقص .
(٣) مجدل : مكان : متالع : جبل . الطلاء : الأرض السهلة . أريك : موضع . المصانع : مايجتمع فيها ماء المطر كالأحواض .
(٤) الأخشبان : جبلان بمكة .
(٥) جسنا : وطئنا . المهدى : نبى الهدى محمد صلى الله عليه وسلم . كاب : مرتفع . ساطع : متفرق .
(٦) الحميم هنا : العرق . آن : حار . ناقع : كثير .
(٧) خذروف السحابة : طرفها .

عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيف رسول الله والموت كانع [1]
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ... مصالا لكنا الأقربين تتابع [2]
ولكن دين الله دين محمد ... رضينا به ، فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا ... وليس لأمر حمه الله دافع

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

تقطع باقى وصل أم مؤمل ... بعاقبة واستبدلت نية خُلفا [3]
وقد حلفت بالله لاتقطع القوى ... فما صدقتْ فيه ولابرت الحلفا [4]
خفافية بطن العقيق مصيفها ... وتحتل فى البادين وجرة فالعرفا [5]
فإن تتبع الكفار أم مؤمل ... فقد زودت قلبى على نأيها شغفا
وسوف ينبيها الخبير بأننا ... أبينا ولم نطلب سوى ربنا حلفا
وأنّا مع الهادى النبى محمد ... وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة ... أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم ... مصاعب زافت فى طروقتها كُلفا [6]
كأن النسيج الشهب والبيض ملبس ... أسوداً تلاقت فى مراصدها غُضفا [7]

---

(١) معتص : ضارب . كانع : مقترب .

(٢) يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس ، فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا ونذودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى فى حكم الدين مصالا مفعلا من الصولة ، لكنا مع الأقربين هوازن .

ولكن دين الله دين محمد ... رضينا به فيه الهدى والشرائع

(٣) النية : من النوى وهو البعد . وخلفاً يجوز أن يكون مفعولا من أجله أى : فعلت ذلك من أجل الخلف ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال ، لأن استبدالها به خلف منها لما وعدته به ، ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده .

(٤) القوى : قوى الحبل هنا : وهو العهد ، وهذا هو الخلف المتقدم ذكره .

(٥) خفافية : نسبة إلى بنى خفاف . العقيق : واد بالحجاز . وجرة والعرف : موضعان .

(٦) مصاعب : فحول . زافت : تحركت . الطروق : التى يطرقها الفحول . كلف : سود .

(٧) الشهب التى : يخالط بياضها حمرة . غضف : مسترخية الآذان .

بنا عز دين الله غير تنحل ... وزدنا على الحى الذى معه ضعفا
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا ... عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
على شُخُص الأبصار تحسب بينها ... إذا هى جالت فى مراودها عزفا (١)
غداة وطئنا المشركين ولم نجد ... لأمر رسول الله عدلا ولا صرفا
بمعترك لا يسمع القوم وسطه ... لنا زجمة إلا التذامر والنقفا (٢)
ببيض تطير الهام عن مستقرها ... ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
فكائن تركنا من قتيل ملحب ... وأرملة تدعو على بعلها لهفا (٣)
رضا الله ننوى لا رضا الناس نبتغى ... ولله ما يبدو جميعا وما يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضا:

ما بال عينك فيها عائر سهر ... مثل الحماطة أغضى فوقها الشُّفُر (٤)
عين تأوبها من شجوها أرق ... فالماء يغمرها طوراً وينحدر
كأنه نظم در عند ناظمة ... تقطع السلك منه فهو منتثر (٥)
يا بعد منزل من ترجو مودته ... ومن أتى دونه الصّمان فالحفر (٦)
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ... ولى الشباب وزار الشيب والزعر (٧)
واذكر بلاء سليم فى مواطنها ... وفى سليم لأهل الفخر مفتخر
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا ... دين الرسول وأمر الناس مشتجر

---

(١) المراود: جمع مرود وهو الوتد. العزف: الصوت.
(٢) الزجمة: الصوت. التذامر: الحض. والنقف فى الأصل: كسر الحنظلة واستخراج حبوبها، ويريد به هنا كسر رءوس الأعداء.
(٣) ملحب: مقطع اللحم.
(٤) الحماطة: تبن الذرة خاصة. أغضى فوقها: أغمض عليها جفنيه. الشفر: منبت الشعر فى جفن العين.
(٥) منتثر: متفرق.
(٦) الصمان والحفر: موضعان.
(٧) الزعر: قلة الشعر أو تفرق الشعر فوق الرأس.

لايغرسون فسيل النخل وسطهم   ولا تخاور فى مشتاهم البقر (١)
إلا سوابح كالعقبان مقربة   فى دارة حولها الأخطار والعكر (٢)
تدعى خفاف وعوف فى جوانبها   وحى ذكوان لاميل ولاضجر (٣)
الضاربون جنود الشرك ضاحية   ببطن مكة والأرواح تبتدر
حتى دفعنا وقتلاهم كأنهم   نخل بظاهرة البطحاء منقعر
ونحن يوم حنين كان مشهدنا   للدين عزاً وعند الله مدخر
إذ نركب الموت مخضراً بطائنه   والخيل ينجاب عنها ساطع كدر (٤)
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا   كما مشى الليث فى غاباته الخدر (٥)
فى مأزق من مجرّ الحرب كلكلها   تكاد تأفل منه الشمس والقمر (٦)
وقد صبرنا بأوطاس أسنتنا   لله ننصر من شئنا وننتصر
حتى تأوب أقوام منازلهم   لولا المليك ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا   إلا قد اصبح منا فيهم أثر

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يأيها الرجل الذى تهوى به   وجناء مُجمَرَة المناسم عرمس (٧)
إما أتيت على النبى فقل له   حقا عليك إذا اطمأن المجلس
ياخير من ركب المطى ومن مشى   فوق التراب إذا تعد الانفس

---

(١) الفسيل : صغار النخل . أى هم ليسوا أهل زرع ولا رعاة بقر وإنما جل عملهم الحرب .
(٢) السوابح : الخيل السريعة . والعقبان : جمع عقاب . طائر من الجوارح قوى المخالب أعقف المنقار حاد البصر . يطلق على المذكر والمؤنث . مقربة : قريبة من الدور محافظة عليها لكرمها . الدارة : ما أحاط بالشىء . الأخطار : جماعات الإبل . العكر : الإبل الكثيرة .
(٣) الميل : الذين لاسلاح معهم .
(٤) ساطع : أى غبار ساطع وهو المتفرق .
(٥) الخادر : الداخل فى خدره وهو أكمة الأسد .
(٦) الكلكل : الصدر .
(٧) الوجناء: الضخمة . المجمرة : مجتمعة الجسم. المناسم : مقادم خف البعير. العرمس : الشديدة.

إنا وفينا بالذى عاهـدتنا · والخيل تقدع بالكماة وتضرس (١)
إذا سال من أفناء بهثة كلها · جمع تظل به المخارم ترجس (٢)
حتى صبحنا أهـل مكة فيلقا · شهباء يقدمها الهمام الأشوس (٣)
من كل أغلب من سليم فوقه · بيضاء محكمة الدخال وقونس (٤)
يُروى القناة إذا تجاسر فى الوغى · وتخاله أسـداً إذا ما يعبس
يغشى الكتيبة معلما وبكفه · عضب يقد به و َلدن مدعس (٥)
وعلى حنين قد وفى من جمعنا · ألف أمد به الرسول عرندس (٦)
كانوا أمام المؤمنـين دريئة · والشمس يومئذ عليهم أشمس
نمضى ويحرسـنا الإله بحفظه · والله ليس بضائع من يحرس
ولقد حبسنا بالمناقب محبسا · رضى الإله به فنعم المحبس
وغداة أوطاس شددنا شدة · كفت العدو وقيل منها : ياأحبسوا
تدعو هـوازن بالإخاوة بيننا · ثدى تمد به هوازن أيبس
حتى تركنا جمعهم وكأنه · عـير تعاقبه السباع مفرس

قال ابن هشام : أنشدنى خلف الأحمر قوله : « وقيل منها يا احبسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

نصرنا رسول الله من غضب له · بألف كمى لاتعد حواسره (٧)
حملنا له فى عامل الرمح راية · يذود بها فى حومة الموت ناصره

---

(١) تقدع : تكف . تضرس : تجرح .
(٢) بهثة : حى من سليم . المخارم : الطرق الجبلية . ترجس : تتحرك .
(٣) الأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر .
(٤) القونس : أعلى بيضة الحديد .
(٥) العضب : السيف القاطع . لدن : لين . مدعس : طعان .
(٦) عرندس : شديدة .
(٧) الحواسر : الذين لادروع عليهم .

ونحن خضبناها دما فهو لونها غداة حنين يوم صفوان شاجره (١)
وكنا على الإسلام ميمنة له وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة يشاورنا فى أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدما وكنا له عونا على من يناكره (٢)
جزى الله خيرا من نبى محمداً وأيده بالنصر والله ناصره

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « وكنا على الإسلام » إلى آخرها ، بعض أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذى أوله : « حملنا له فى عامل الرمح راية » . وأنشدنى بعد قوله : « وكان لنا عقد اللواء وشاهره » ، « ونحن خضبناه دما فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

من مبلغ الأقوام أن محمداً رسول الإله راشد حيث يمما
دعا ربه واستنصر الله وحده فأصبح قد وفى إليه وأنعما
سرينا وواعدنا قديداً محمداً يؤم بنا أمراً من الله محكما
تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا مع الفجر فتيانا وغابا مُقوما (٣)
على الخيل مشدودا علينا دروعنا ورَجلا كدُفّاع الأتىّ عرمرما (٤)
فإن سراة الحى إن كنتَ سائلا سليم وفيهم منهم من تسلما (٥)
وجند من الأنصار لا يخذلونه أطاعوا فما يعصونه ما تكلما
فإن تك قد أُمّرت فى القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره تصيب به فى الحق من كان أظلما

---

(١) شاجره : خالطه بالرمح .
(٢) أصل الشعار : الثياب التى تلى الجسد . كناية عن القرب .
(٣) تماروا : شكوا . الغاب : الرماح .
(٤) الأتى : السيل . العرمرم : الكثير .
(٥) يريد بمن تسلما : أن فى سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم ، فتسلم بذلك، كما تقول تقيس الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس . أنشد سيبويه :

وقيس عيلان ومن تقيسا

حلفتُ يمينا برة لمحمـد ... فأكملتها ألفا من الخيل ملجما
وقال نبى المؤمنين تقدموا ... وحُب إلينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهى المستدير ولم يكن ... بنا الخوف إلا رغبة وتحزما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم ... وحتى صبحنا الجمع أهلَ يلملما (١)
يضل الحصان الأبلق الورد وسطه ... ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما (٢)
سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى ... وكل تراه عن أخيه قد احجما (٣)
لدن غدوة حتى تركنا عشية ... حنينا وقد سالت دوافعه دما (٤)
إذا شئت من كل رأيت طمرة ... وفارسها يهوى ورمحا محطما (٥)
وقد أحرزت مناهوازن سربها ... وحب إليها أن نخيب ونحرما (٦)

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف ابن يقظة بن عصية السلمى فى يوم حنين : وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد، فقتل به محجنا وابن عم له ، وهما من ثقيف :

نحن جلبنا الخيل من غير مجلب ... إلى جرش من أهل زيان والفم
نقتل أشبال الأسود ونبتغى ... طواغى كانت قبلنا لم تهدم
فإن تفخروا بابن الشريد فإننى ... تركت بوج مأتما بعد مأتم
أبأتهما بابن الشريد وغـــره ... جواركم وكان غـــير مذمم
تصيب رجالا من ثقيف رماحنا ... وأسيافنا يكلمنهم كل مكلم

وقال ضمضم بن الحارث أيضاً :

أبلغ لديك ذوى الحلائل آية ... لا تأمـــنن الدهر ذات خمار
بعد التى قالت لجارة بيتها ... قد كنت لو لبث الغزىّ بدار

---

(١) يلملم : ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها .
(٢) الأبلق : الذى يختلط لونه بالسواد والبياض . الورد : المشرب بالحمرة . يسوم: يعلم .
(٣) القطا : طائر . زفه : أسرع به .
(٤) دوافع . مجارى السيل
(٥) الطمرة . الفرس السريعة.
(٦) السرب . المال الراعى .

لما رأت رجلا تسفع لونه ... وغر المصيفة والعظام هوارى(١)
مشط العظام تراه آخر ليله ... متسربلا فى درعه لغوار(٢)
إذ لا أزال على رحالة نهدة ... جرداء تلحق بالنجاد إزارى(٣)
يوما على أثر النهاب وتارة ... كُتبت مجاهدة مع الأنصار
وزهاء كل خميلة أزهقتها ... مهلا تمهله وكل خبار(٤)
كيما أغير مابها من حاجة ... وتود أنى لا أؤوب لجار(٥)

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، قال : أسر زهير بن العجوة الهذلى يوم حنين ، فكتف فرآه جميل بن معمر الجمحى ، فقال له أأنت الماشى لنا بالمغايظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خراش(٦) الهذلى يرثيه ، وكان ابن عمه :

عجّف أضيافى جميل بن معمر ... بذى فجر تأوى إليه الأرامل
طويل نجيا السيف ليس بجيدر ... إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل(٧)
تكاد يداه تسلمان إزاره ... من الجود لما أذلقته الشمائل(٨)
إلى بيته يأوى الضريك إذا شتا ... ومستنبح بالى الدريسين عائل(٩)

---

(١) تسفع : تغير إلى السفعة . وهى سواد مشبع بحمرة . الوغر : شدة الحر . المصيفة : الأرض شديدة الحرارة .

(٢) مشط العظام : قليل اللحم الذى على عظمه. لغوار : للإغارة .

(٣) الرحالة : السرج . نهدة : غليظة . النجاد : حمائل السيف .

(٤) الخميلة : الموضع الكثير الشجر . الخبار : مالان واسترخى من الأرض.

(٥) لجار : تستعمل فى النداء عادة فيقال يالجار المرأة الفاجرة .

(٦) واسمه خويلد بن مرة . شاعر إسلامى مات فى خلافة عمر .

(٧) الجيدر : القصير .

(٨) يريد أنه من كثرة سخائه يوشك أن يتجرد من إزاره يعطيه سائله والشمائل : الرياح الباردة التى تأتى من ناحية الشمال . أذلقته : أجهدته .

(٩) الضريك : الفقير . المستنبح : من يطرق ديار القوم ليلا فينبح ، فتجاوبه كلاب الحى ليعرف مكان العمران . الدريسان : الثوبان الخلقان. عائل : فقير .

تروّح مقرورا وهبت عشية ... لها حدب تحتثه فيوائل(١)
فما بال أهل الدار لم يتصدعوا ... وقد بان منها اللوذعى الحلاحل(٢)
فأقسم لو لاقيته غير موثق ... لآبك بالنعف الضباع الجيائل(٣)
وإنك لو واجهته إذ لقيته ... فنازلته أو كنت ممن ينازل
لظل جميل أفحش القوم صرعة ... ولكن قرن الظهر للمرء شاغل
فليس كعهد الدار ياأم ثابت ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بفاعل ... سوى الحق شيئا واستراح العواذل
وأصبح إخوان الصفاء كأنما ... أهال عليهم جانب التراب هائل
فلا تحسبى أنى نسيت لياليا ... بمكة إذ لم نعــــد عما نحاول
إذ الناس ناس والبلاد بغرة ... وإذ نحن لاتثنى علينا المداخل(٤)

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره:

منع الرقاد فما أغمض ساعة ... نعَم بأجزاع الطريق مخضرم(٥)
سائل هوزان هل أضر عدوها ... وأعين غارمها إذا مايغرم
وكتيبة لبســتها بكتيبة ... فئتين منها حاسر وملأم
ومُقدم تعيا النفوس لضيقه ... قدمته وشهود قومى أعلم(٦)
فوردته وتركت إخوانا له ... يردون غمرته وغمرته الدم
فإذا انجلت غمراته أورثتنى ... مجد الحياة ومجد غنم يقسم
كلفتمونى ذنب آل محمد ... والله أظلم من أعق وأعلم
وخذلتمونى إذ أقاتل واحــداً ... وخذلتمونى إذ تقاتل خثعم

---

(١) المقرور: الذى أصابه القر وهو البرد. والحدب فى الأصل: انحدار الماء بشدة شبه به الريح المضطربة. تحتثه: تسوقه سوقا سريعا. يوائل: يطلب موئلا، أى يطلب ملجأ.

(٢) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا. اللوذعى. الفصيح. الحلاحل: السيد

(٣) آبك: رجع إليك. النعف: أسفل الجبل الجيائل: جمع جيئل: الضبع أيضاً.

(٤) بغرة: بغفلة.

(٥) النعم: الإبل: المخضرمة: مقطوعة أطراف الآذان.

(٦) المقدم: الموضع الذى لايتقدم فيه إلا الأبطال.

وإذا بنيت المجد يهدم بعضكم لايستوى بانٍ وآخر يهدم
وأقب مخماص الشتاء مسارع فى المجد ينمى للعلى متكرم(١)
أكرهت فيه ألة يزنية سحماء يقدمها سنان سلجم(٢)
وتركت حنته ترد وليه وتقول ليس على فلانة مقدم(٣)
ونصبت نفسى للرماح مدججا مثل الدرية تستحل وتشرم(٤)

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوزان أيضا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا ومالك فوقه الرايات تختفق
ومالك مالك مافوقه أحد يوم حنين عليه التاج يأتلق
حتى لقوا الناس حين الباس يقدمهم عليهم البيض والأبدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا حول النبي وحتى جنه الغسق
ثمت نزل جبريل بنصرهم من السماء فمهزوم ومعتنق(٥)
منا ولوغير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذن أسيافنا العلق
وفاتنا عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة بل منها سرجه العلق(٦)

وقالت امرأة من بنى جشم ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين :

أعينى جودا على مالك معا والعلاء ولا تجمدا
هما القاتلان أبا عامر وقد كان ذا هبة أربدا
هما تركاه لدى مجسد ينوء نزيفا وما وسدا(٧)

---

(١) الأقب : ضامر الخصر . والمخماص : كذلك .

(٢) ألة : حربة . يزينية : منسوبة إلى ذى يزن الحميرى وهو أحد ملوك حمير . سحماء : سوداء . سلجم : طويل . (٣) حنته : زوجته .

(٤) الدرية : هى الدريئة : حلقة تنصب فيتعلم عليها الطاعن .

(٥) المعتنق : الأخير . (٦) العلق : الدم .

(٧) المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران . والمراد أن ثوبه قد صبغ بالدم .

وقال أبو ثواب زيد بن صحار، أحد بنى سعد بن بكر:

ألا هل أتاك أن غلبت قريش هوازنَ والخطوب لها شروط
وكنا يا قريش إذا غضبنا يجىء من الغضاب دم عبيط[1]
وكنا يا قريش إذا غضبنا كأن أنوفنا فيها سعوط
فأصبحنا تسوقنا قريش سياق العير يحدوها النبيط[2]
فلا أنا إن سئلت الخسف آب ولا أنا أن ألين لهم نشيط
سينقل لحمها فى كل فج وتكتب فى مسامعها القطوط[3]

ويروى «الخطوط»، وهذا البيت فى رواية أبى سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثواب زياد بن ثواب. وأنشدنى خلف الأحمر قوله: «يجىء من الغضاب دم عبيط»، وآخرها بيتا عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم، ثم من بنى أسيد، فقال:

بشرط الله نضرب من لقينا كأفضل ما رأيت من الشروط
وكنا يا هوازن حين نلقى نبل الهام من علق عبيط
بجمعكم وجمع بنى قسى نحك البرك كالورق الخبيط[4]
أصبنا من سراتكم وملنا بقتل فى المباين والخليط
به الملتاث مفترش يديه يمج الموت كالبكر النحيط[5]
فإن تك قيس عيلان غضابا فلا ينفك يُوغمهم سعوطى

(١) العبيط: الطرى.

(٢) النبيط: فى الأصل قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردن أقاموا دولة عاصمتها البتراء ثم أطلقت هذه الكلمة على أخلاط الناس وعوامهم.

(٣) القطوط: الكتب التى تجمع فيها الأعمال.

(٤) الكلكل: صدر البعير. الورق الخبيط: الذى ضرب بالعصا ليسقط. شبه شدة الحرب بما سبق

(٥) الملتاث: اسم رجل. البكر: الفتى من الإبل. والنحيط: من يردد النفس فى صدره فتسمع له صوتا.

وقال خديج بن العوجاء النصرى :

لما دنونا من حنين ومائه رأينا سواداً منكر اللون أخصفا[١]

بملومة شهباء لو قذفوا بها شماريخ من عزوى إذن عاد صفصفا[٢]

ولو أن قومى طاوعتنى سراتهم إذن ما لقينا العارض المتكشفا[٣]

إذن ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفا واستمدوا بخندفا[٤]

ذكر غزوة الطائف[٥] بعد حنين فى سنة ثمان

ولما قدم فَلّ[٦] ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال : ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش : يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور .(٧)

---

(١) سواداً : أشخاصاً . الأخصف : الملون .

(٢) الملومة: الكتيبة المجتمعة . شهباء : كثيرة السلاح . الشماريخ : أعالى الجبال . صفصفا : مستويا بالأرض .

(٣) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود المسلمين .

(٤) خندف : اسم قبيلة .

(٥) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدَمُون بن الصدف ، واسم الصدف . ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه . فسمى به الطائف ، وذكره البكرى هكذا قال : وإنما هو الدموں بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبى — صلى الله عليه وسلم — وبايعاه ، اسم أحدهما : الهميل ، والآخر . قبيصة ، ولم يذكرهما أبو عمر فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

(٦) الفل : بقية الجيش المنهزم .

(٧) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها . والمنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات . والضبور : مثل رءوس الأسفاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى العين : الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها فى الحرب .

ما قيل من الشعر فى غزوة الطائف : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف :

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجممنا السيوفا(١)
نخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن : دوسا أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم تروها ... بساحة داركم منا ألوفا
وننتزع العروش ببطن وج ... وتصبح دوركم منكم خلوفا
ويأتيكم لنا سرعان خيل ... يغادر خلفه جمعا كثيفا
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم ... لها مما أناخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرهفات ... يزرن المصطلين بها الحتوفا
كأمثال العقائق أخلصتها ... قيون الهند لم تضرب كتيفا(٢)
تخال جدية الأبطال فيهم ... غداة الزحف جاديا مدوفا(٣)
أجدهم أليس لهم نصيح ... من الأقوام كان بنا عريفا(٤)
يخبرهم بأنا قد جمعنا ... عتاق الخيل والنجب الطروفا(٥)
وأنا قد أتيناهم بزحف ... يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبي وكان صلبا ... نقى القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الأمر ذو حكم وعلم ... وحلم لم يكن نزقا خفيفا
نطيع نبينا ونطيع ربا ... هو الرحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل ... ونجعلكم لنا عضدا وريفا(٦)

---

(١) أجممنا : أرحنا. (٢) الكتيف : الصفائح الحديد .
(٣) الجدية : الدماء السائلة . الجادى : الزعفران . مدوف : مخلوط .
(٤) أجدهم : أجد منهم : عريفا : عارفا .
(٥) الطروف : نجيبة الأصل .
(٦) الريف فى الأصل : الأرض الخصبة المزرعة خارج المدن . والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم .

وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا(١)
نجالد ما بقينا أو تنيبوا إلى الإسلام إذعانا مضيفا(٢)
نجاهد لا نبالى من لقينا أأهلكنا التلاد أم الطريفا(٣)
وكم من معشر ألبوا علينا صميم الجذم منهم والحليفا
أتونا لا يرون لهم كفاء فجدعنا المسامع والأنوفا
بكل مهند لين صقيل يسوقهم بها سوقا عنيفا
لأمر الله والإسلام حتى يقوم الدين معتدلا حنيفا
وتُنسى اللات والعزى وود ونسلبها القلائد والشنوفا(٤)
فأمسوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمتنع يقبل خسوفا

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فقال:

من كان يبغينا يريد قتالنا فإنا بدار معلم لا نريمها
وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى وكانت لنا أطواؤها وكرومها(٥)
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر فأخبرها ذو رأيها وحليمها(٦)

---

(١) الرعش: المتقلب. (٢) مضيف: ملجىء.

(٣) التلاد: المال الموروث. الطريف: المال المستحدث.

(٤) الشنوف والأشناف جمع شنف: حلية تعلق فى أعلى الأذن.

(٥) الأطواء: جمع طوى وهى البئر، جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة.

(٦) إنما قال هذا جوابا للأنصار، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر، وعمرو هو مزيقياء، وعامر هو ماء السماء، ولم يرد أن الأنصار جربتهم قبل ذلك، وإنما أراد إخوتهم، وهم خزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فى أحد القولين، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة، وقال البكرى فى معنى هذا البيت: إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صعصعة، وكانوا مجاورين لثقيف وأمهم عمرة بنت عامر بن الظرب العدوانى، وأختها زينب كانت تحت ثقيف، وأكثر قبائل ثقيف منها، وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها، ويكون لهم النصف فى الزرع والثمر، ثم إن ثقيفاً منعتهم ذلك، وتحصنوا منهم بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم، فحاربتهم بنو عمرو بن عامر، فلم يظفروا منهم بشىء، وجلوا عن تلك البلاد.

وقد علمت إن قالت الحق أننا ... إذا ما أبت صعر الخدود نقيمها[1]

نقومها حتى يلين شريسها ... ويعرف للحق المبين ظلومها

علينا دلاص من تراث محرق ... كلون السماء زينتها نجومها[2]

نرفهها عنا ببيض صوارم ... إذا جرت فى غمرة لانشيمها[3]

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف:

لاتنصروا اللات إن الله مهلكها ... وكيف ينصر من هو ليس ينتصر

إن التى حرّقت بالسد فاشتعلت ... ولم يقاتل لدى أحجارها هدر

إن الرسول متى ينزل بلادكم ... يظعن وليس بها من أهلها بشر

الطريق إلى الطائف: قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة اليمانية، ثم على قرن، ثم على المليح، ثم على بحرة الرغاء من لية[4]، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عمرو بن شعيب: أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء، حين نزلها، بدم وهو أول دم أقيد به فى الإسلام، رجل، من بنى ليث قتل رجلا من هذيل، فقتله به؛ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بلية، بحصن مالك بن عوف فهدم، ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة، فلما توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها، فقال: ما اسم هذه الطريق؟ فقيل له الضيقة، فقال: بل هى اليسرى، ثم خرج منها على نخب، حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة، قريبا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إما أن تخرج، وإما أن نخرب عليك حائطك؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه.

القتال: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف،

---

(١) صعر خده: أماله إلى جهة تكبرا.

(٢) دلاص: الدروع اللينة. محرق: عمرو بن عامر، لأنه أول من حرق العرب بالنار.

(٣) لانشيمها: لانغمدها.

(٤) أسماء أماكن بالطائف.

فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية ، فضرب لهما قبتين ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجدا ، وكانت فى ذلك المسجد سارية ، فيما يزعمون ، لاتطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلاسمع لها نقيض [1]، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديداً ، وتراموا بالنبل .

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف : وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفا : أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن السباء ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة بن عروة ابن مسعود ، فولدت له داود بن مرة .

قال ابن إسحاق ، والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، والفقيمية أميمة بنت الناسئ أمية بن قلع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : ياأباسفيان ويامغيرة : ألاأدلكما على خير مما جئتما له ، إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤنة ، ولا أبعد عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن

(١) نقيض : صوت .

قطعه لم يعمر أبدا ، فكلاه فليأخذ لنفسه ، أو ليدعه لله والرحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

أبو بكر يفسر رؤيا للرسول (ص) : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبدا ، فنقرها ديك ، فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية ، وهي امرأة عثمان ، قالت : يارسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان بن مظعون بن سلمة ، أو حلي الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف ياخويلة ؟ فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : ماحديث حدثتنيه خويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال أوما أذن لك فيهم يارسول الله ؟ قال : لا ، قال: أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال: بلى . قال فأذن عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحي مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراما ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتطئها ، لعلها تلد لي رجلا ، فإن ثقيفا قوم مناكير(١) .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبدالله ابن مكدم ، عن رجال من ثقيف : قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد .

شعر الضحاك بن سفيان وسببه : قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا

---

(١) المناكير : جمع منكر : داه فطن ذكي .

لمروان بن قيس الدوسى ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : خذ يامروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أبى بن مالك القشيرى فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أبى بن مالك :

أتنسى بلائى يا أُبىّ بن مالك ... غداة الرسول معرض عنك أشوس(١)
يقودك مروان بن قيس بحبله ... ذليلا كما قيد الذلول الخيس(٢)
فعادت عليك من ثقيف عصابة ... متى يأتهم مستقبس الشرّ يُقبسوا
فكانوا هم المولى فعادت حلومهم ... عليك وقد كادت بك النفس تيأس

قال ابن هشام : « يقبسوا » عن غير ابن إسحاق .

الشهداء يوم الطائف : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف .

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية . وعرفطة ابن جناب ، حليف لهم ، من الأسد بن الغوث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة : عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رمية رُميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله ابن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

---

(١) الأشوس : من يعرض بنظره إلى جهة أخرى .
(٢) الخيس : المذلل .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بجير بن زهير فى حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنينا والطائف :

كانت علالة يوم بطن حنين وغداة أوطاس ويوم الأبرق(١)
جمعتْ بإغواء هوازن جمعها فتبددوا كالطائر المتمزق
لم يمنعوا منا مقاما واحداً إلا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا فتحصنوا منا بباب مغلق
ترتد حسرانا إلى رجراجة شهباء تلمع بالمنايا فيلق(٢)
ملمومة خضراء لو قذفوا بها حضنا لظل كأنه لم يخلق(٣)
مشى الضراء على الهراس كأننا قُدر تَفرق فى القياد وتلتق(٤)

---

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن ألفيته فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز فى علالة أن يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمها عائداً على شىء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسماً علماً للمصدر مثل برة وفجار ، وينصب يوم على الظرف كما تقيد فى النسخة . انظر الروض الأنف جـ ٤ ص ١٦٥ .

(٢) حسراناً ، جمع : حسير وهو الكليل . والرجراجة : الكتيبة الضخمة من الرجرجة ، وهى شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهى الداهية .

(٣) ملمومة : مجتمعة . خضراء : تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد . حضن : اسم جبل .

(٤) الضراء : الكلاب . والهراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذا مشت فى الهراس ابتغت لأيديها موضعا ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها . والقدر : الوعول المسنة .

في كل سابغة إذا ما استحصنت كالنهى هبت ريحه المترقرق(١)
جدل تمس فضولهن نعالنا من نسج داود وآل محرق(٢)

أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يارسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اهد ثقيفا وأت بهم.

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يدرى ما عدته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا، فقالوا: يارسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك، فامنن علينا، من الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا صرد، فقال: يارسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك(٣) اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا(٤) للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن هشام: ويروى ولو أنا مالحنا الحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يارسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: أما ما كان لى ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا

---

(١) النهى: الغدير سمى بذلك لأنه ماء نهاه ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف.
(٢) الجدل: المنسوجة نسجا محكما. آل محرق: آل عمر بن هند ملك الحيرة.
(٣) يقصد: حليمة السعدية فهي من بني سعد بن بكر. (٤) ملحنا: أرضعنا.

فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وهّنتمونى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله لكل إنسان ست فرائض ، من أول سبى أصيبه . فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة ابن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية ، يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله ابن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ، ليصلحوا لى منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا ؛ فقلت : تلكم صاحبتكم فى بنى جمح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ عجوزا من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسب لها فى الحى نسبا ، وعسى أن يعظم فداؤها فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض ، أبى أن يردها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد(١) ، ولا درها بماكد(٢) . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أن عيينة لقى

---

(١) الواجد : الحزين . (٢) الماكد : الغزير .

الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفا وثـــيرة[١] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ؛ فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له ، فأتى به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى تشأ يخبرك عما فى غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها ... بالسمهرى وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله ... وسط الهباءة خادر فى مرصد

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثمالة ، وسلمة[٢] ، وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن[٣] بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى .

هابت الأعداء جانبنا ... ثم تغزونا بنو سلمه
وأتانا مالك بهم ... ناقضاً للعهد والحرمه
وأتونا فى منازلنا ... ولقد كنا أولى نقمه

(١) الغريرة متوسطة السن ، وكذلك النصف أيضا . والوثيرة : السمينة .

(٢) قال السهيلى : هكذا تقيد فى النسخة ـ بكسر اللام ـ ؛ والمعروف فى قبائل قيس سلمة ـ بالفتح ـ

(٣) اسمه : مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ، ركب ، واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ؛ فقال : أدوا على ردائى أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط[1] ، فإن الغلول[2] يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً[3] يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر : فقال أما نصيبى منها فلك قال : أما إذ بلغت هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طرحها من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة ، وسيفه متلطخ دما . فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليرده ، حتى الخياط والمخيط . فرجع عقيل ، فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها فى الغنائم .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ، أخا بنى عبد الدار مائة بعير .

قال ابن هشام : نصير بن الحارث بن كلدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفى ، حليف بنى زهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير . وأعطى مالك بن عوف النصرى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

---

(١) الخياط . الخيط : والمخيط آلة الخياطة (الإبرة) .

(٢) الغلول : الخيانة . (٣) الشنار : الأمر القبيح الشنيع .

وأعطى دون المائة رجالا من قريش ، منهم مخرمة بن نوفل الزهرى ، وعمير بن وهب الجمحى ، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمى خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدى بن قيس .

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت نهابا تلافيتها ... بكرّى على المهر فى الأجرع
وإيقاظى القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبى ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرع[1]
وقد كنت فى الحرب ذا تدرإ ... فلم أعط شيئا ولم أمنع
إلا أفائل أعطيتها ... عديد قوائمها الأربع[2]
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان شيخى فى المجمع[3]
وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

قال ابن هشام : أنشدنى يونس النحوى :

فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس فى المجمع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل :

« فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة[4] » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما

---

(١) العبيد : فرس عباس بن مرداس .

(٢) الأفائل : أصاغر الإبل . (٣) شيخى : أبى .

(٤) لم ينطق عليه الصلاة والسلام البيت موزونا لأنه لا يقول الشعر وإن كان يستمعه ويستجيده . يقول سبحانه وتعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

واحد؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين .

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطليق بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عُميلة بن السباق بن عبد الدار ، وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زهير بن أبى أمية بن المغيرة ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة ، وأبو جهم بن حذيفة ابن غانم .

ومن بنى جمح بن عمرو : صفوان بن أمية بن خلف ، وأحيحة بن أمية بن خلف ، وعمير بن وهب بن خلف .

ومن بنى سهم : عدى بن قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤى : حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود وهشام بن عمرو بن ربيعة ابن الحارث بن حُبيب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر ابن رزن بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الديل .

ومن بنى قيس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وحرملة بن هوذة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بنى سُليم بن منصور : عباس بن مرداس بن أبى عامر : أخو بنى الحارث بن بُهثة ابن سليم .

ومن بنى غطفان ، ثم من بنى فزارة : عيينة بن حصن بن حُذيفة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس بن عقال ، من بنى مجاشع بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يارسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمرى ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مِقسم أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثى ، حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمى يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يامحمد ، قد رأيت ماصنعت فى هذا اليوم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت : قال فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: ويحك! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند من يكون؟! فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية يُنظر فى النصل (١) ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القدح (٢) ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفوق (٣) ، فلا يوجد شىء ، سبق الفرث ، والدم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن على بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة .

---

(١) النصل : حديد السهم (٢) القدح : السهم . (٣) الفوق : طرف السهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى فى قريش وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئا ، قال حسان بن ثابت يعاتبه فى ذلك :

زادت هموم فماء العين منحدر ... سحا إذا حفلته عَبرة دِرر[1]
وجداً بشماء إذ شماء بهكنة ... هيفاء لادنس فيها ولا خور[2]
دمع عنك شماء إذ كانت مودتها ... نزراً وشر وصال الواصل النزر[3]
وأت الرسول فقل ياخير مؤتمن ... للمؤمنين إذا ما عدد البشر
علام تدعى سُليم وهى نازحة ... قدام قوم هم آووا وهم نصروا
سماهم الله أنصاراً بنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وماخاموا وماضجروا[4]
والناس ألب علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر[5]
نجالد الناس لانبقى على أحد ... ولانضيع ما توحى به السور
ولانهر جناة الحرب نادينا ... ونحن حين تلظى نارها سعر[6]
كما رددنا ببدر دون ماطلبوا ... أهل النفاق وفينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحد ... إذ حزّبت بطراً أحزابها مضر
فما ونينا وما خمنا وما خبروا ... منا عثارا وكل الناس قد عثروا[7]

قال ابن هشام : حدثنى زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا ، فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار

---

(١) حفلته : جمعته . درر : سائلة . (٢) بهكنة كثيرة اللحم . هيفاء : ضامرة الخصر .
(٣) النزر : القليل . (٤) اعترفوا : صبروا . ما خاموا : ما جبنوا
(٥) ألب : مجتمعون . الوزر : الملجأ .
(٦) لانهر : لانكره . جناة الحرب : الخائضون غمارها . سعر : الذين يوقدون نارها
(٧) خمنا : جبنا .

منها شيء ، وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يارسول الله : إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم . لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت ، قسمت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب . ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا من قومى . قال : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يامعشر الأنصار : ما قالة بلغتنى عنكم ، وجدة [١] وجدتموها على فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال : ألا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل . قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصَدقتم ولصُدقتم : أتيتنا مكذَّبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوجدتم يامعشر الأنصار فى أنفسكم ، فى لعاعة [٢] من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

---

(١) الجدة : مصدر وجد ، أى وجدتم فى أنفسكم شيئا .

(٢) اللعاعة : الخصب ، أو شجرة خضراء ، شبه بها نعيم الدنيا .

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمانى

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا ، وأمر ببقايا الفىء فحبس بمجنة ، بناحية مر الظهران، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلّف معه معاذ بن جبل ، يفقه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء .

قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة أو ذى الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد، وهى سنة ثمان ،وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب ، قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض ؛ وكان كعب ابن زهير قد قال :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا ؟
فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أى شىء غير ذلك دلكا
على خلق لم ألف يوما أبا له ... عليه وماتلفى عليه أبا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولاقائل إما عثرت : لعا لكا[١]
سقاك بها المأمون كأسا روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا[٢]

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » : عن غير ابن إسحاق .

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

من مبلغ عنى بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا[٣]
شربت مع المأمون كأسا روية ... فنهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته ... على أى شىء ويب غيرك دلكا[٤]
على خلق لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولاقائل إما عثرت : لعا لكا

قال : وبعث بها إلى بجير ، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها المأمون » صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه » قال : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه .

ثم قال بجير لكعب :

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم
إلى الله ـ لا العزى ولا اللات ـ وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم

---

(١) لعا لك كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة . أنشد أبو عبيد « فلا لعا لبنى ذلان إذا عثروا » .
(٢) ويروى : المحمود فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود : محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمى بهما النبى صلى الله وسلم قبل النبوة . النهل : الشرب الأول ـ والعلل الشرب الثانى .
(٣) الخيف : خيف منى (٤) ويب : هلاك . أى هلكت هلاك غيرك .

فدين زهير وهو لاشيء دينه . ودين أبي سُلمى عليّ محرم

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور » فى قول ابن هشام لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كعب بن زهير وقصيدته : قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جهينة ، كما ذكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فأستامنه فَذُكر . لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعرفه ، فقال : يارسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يارسول الله كعب ابن زهير .

قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال يارسول الله ، دعنى وعدو الله أضرب عنقه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك فإنه قد جاء تائبا ، نازعا عما كان عليه . قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... مُتيم إثرها لم يفد مكبول(١)
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول(٢)
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يُشتكى قصر منها ولا طول(٣)

---

(١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . متيم : ذليل مستعبد : متبول : أسقمه الحب وأضناه . لم يفد : لم يخلص من الأسر : مكبول : لايجد فكاكا من القيد .

(٢) غداة البين : صبيحة الفراق . أغن : أى ظبي أغن فى صوته حسن . غضيض الطرف : فاتره . مكحول : أسود الجفون .

(٣) هيفاء : ضامرة البطن والخصر . العجزاء : ضخمة العجز . لايشتكى : لايعاب :

تجلو عوارض ذى ظَلْم إذا ابتسمت كأنه مُنْهَل بالراح معلول(١)
شُجت بذى شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول(٢)
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب غادية بيض يعاليل(٣)
فيالها خُلَّة لو أنها صدقت بوعدها أو لو أن النصح مقبول(٤)
لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل(٥)
فما تدوم على حال تكون بها كما تلوّن فى أثوابها الغول(٦)
وما تمسّك بالعهد الذى زعمت إلا كما يمسك الماءَ الغرابيلُ(٧)
فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأمانىّ والأحلام تضليل(٨)
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل(٩)

---

(١) تجلو : تصقل وتظهر وتكشف : العوارض : الأسنان التى تظهر عند الضحك : الظلم ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضا الثلج شبهت به الأسنان . النهل : المسقى وهو الشرب الأول . الراح : الخمر . معلول : اسم مفعول من عله ، والعلل الشرب الثانى .

(٢) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها . ذى شبم : ماء شديد البرد . محنية : منعطف الوادى . ماؤه أصفى وأبرد وألذ . أبطح : مسيل واسع فيه حصى دقيق . أضحى : أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد الحر . مشمول : ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٣) تنفى : تبعد . القذى : كل غريب يقع فى الماء من تبن ونحوه . أفرطه : سبق إليه وملأه . صوب : مطر سحابة . غادية : مبكرة . بيض يعاليل : حباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر .

(٤) الخلة : الصديقة والخليلة .

(٥) سيط : خلط . فجع : إصابة . ولع : كذب فى إخفاء المحبة . إخلاف : خلف الوعد . أى أن هذه الصفات قد خلطت بدمها .

(٦) الغول : ساحرة الجن تظهر فى الفلاة بألوان شتى ، تضلل من يتبعها .

(٧) ما تمسك : أى لا تتمسك . (٨) فلا يغرنك : فلا يخدعنك . ما منت : أى ما منتك به من الوصل . الأمانى : مايرجوه الإنسان من الآمال . الأحلام : مايتخيله النائم . تضليل : سبب فى ضلال الإنسان عن وجه الصواب .

(٩) عرقوب : رجل اشتهر بخلف الوعد فضرب به المثل ، قال علقمة :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

والأباطيل : جمع باطل ، جمعه على غير القياس .

أرجو وآملُ أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل(١)

أمست سعاد بأرض لايُبلّغها ... إلا العتاق النجيبات المراسيل(٢)

ولن يُبلّغها إلا عذافرة ... لها على الأين إرقال وتبغيل(٣)

من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت ... عُرْضتُها طامس الأعلام مجهول(٤)

ترى الغيوب بعينى مفرد لهق ... إذا توقدت الحزان والميل(٥)

ضخم مُقلدها فعم مقيدها ... فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل(٦)

غلباء وجناء علكوم مذكرة ... فى دفها سعة قدامها ميل(٧)

وجلدها من أطوم ما يؤيسه ... طِلْح بضاحية المتنين مهزول(٨)

---

(١) تدنو : تظهر ، إخال : بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى أظن . تنويل : الوصل والعطاء .

(٢) العتاق : جمع عتيق : الكريم . النجيبات : جمع نجيبة : الخفيفة السريعة . المراسيل جمع مرسال ، السريعة أيضاً .

(٣) العذافرة : الناقة القوية العظيمة . الأين : التعب . إرقال وتبغيل : ضربان من العدو السريع .

(٤) نضاخة : كثيرة رشح العرق . الذفرى : نقرة توجد خلف أذن الناقة . عرضتها : همتها . طامس : دارس . الأعلام : العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها .
يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتى تعرق وهى متعودة على الأسفار تعرف الطرق بلا علامات .

(٥) الغيوب : آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون . مفرد : ثور وحشى تفرد فى الصحراء . لهق : أبيض . الحزان : الأمكنة الغليظة الصلبة فيها حصباء كثيرة . الميل : الكثبان الضخمة من الرمال .

(٦) مقلد : موضع القلادة من العنق . فعم : ممتلىء . مقيد : موضع القيد ، أى قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها .

(٧) غلباء : غليظة العنق . وجناء : عظيمة الوجنتين : علكوم : شديدة . مذكرة : تشبه الذكر فى عظم الخلقة : الدف : الجنب . قدامها ميل : كناية إما عن سعة الخطو أو طول العنق .

(٨) الأطوم : السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد . يؤيسه : يؤثر فيه . طلح : حشرة صغيرة تلزق بالجلد وهى مايعرف بالقراد . الضاحية الناحية الظاهرة للشمس . المتنين : ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال . ومهزول : صفه لطلح . أى قراد مهزول .
والمعنى أن جلد هذه الناقة غاية فى الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول .

حرف، أخوها أبوها من مهجنة · وعمها خالها قوداء شمليل(١)
يمشى القراد عليهـا ثم يزلقه · منها لبان وأقراب زهاليل(٢)
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض · مرفقها عن بنات الزور مفتول(٣)
كأنما فات عينيها ومذبحها · من خطمها ومن اللحيين برطيل(٤)
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل · فى غارز لم تخونه الأحاليل(٥)
قنواء فى حرتيها للبصير بها · عتق مبين وفى الخدين تسهيل(٦)
تخدى على يسرات وهى لاحقة · ذوابل مسهن الأرض تحليل(٧)

---

(١) حرف : أى هى حرف أو كأنها حرف فعلى الأول يكون الحرف : الضامرة وعلى الثانى يكون شبهها بحرف الجبل وهى القطعة الخارجة منه . أبوها أخوها ، وعمها خالها : أى مداخلة النسب كريمته لم يدخل فى نسبها غريب . المهجنة : كريمة الأبوين . قوداء : طويلة الظهر والعنق . شمليل : سريعة فى خفة .

(٢) يزلقه : يسقطه . لبان : صدر . أقراب : خواصر . زهاليل : جمع زهلول : أملس . والمعنى : أن هذه الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها .

(٣) عيرانة : أى هى ناقة تشبه عير الوحش فى قوته وسرعته ونشاطه . النحض : اللحم عرض : جانب. المرفق : موصل الذراع فى العضد . بنات الزور : مايتصل به مما حول مرفقها من الأضلاع .

والمعنى : أن مرفق تلك الناقة بعيد عما حوالى الصدر من الأضلاع فتكون محفوظة عن الضغط لأن مرفقها بعيد عن أضلاعها .

(٤) فات : تقدم : مذبحها : مكان الذبح من الرقبة. الخطم : الأنف وما حوله . اللحيان: العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى . برطيل : حجر مستطيل . أومعول من حديد .

(٥) عسيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص. ذا خصل : أى ذيل له لفائف من الشعر . الغارز : الضرع . تخونه : تنقصه . الأحاليل : مخارج اللبن مفردة : إحليل .

(٦) القنواء : محدودبة الأنف . الحرتان : الأذنان . عتق : كرم . مبين : واضح . تسهيل : سهولة ، أى لا خشونة فيهما .

(٧) تخدى : تسرع ، يسرات : أى قوائم يسرات واليسرات : الخفاف . لاحقة : سابقة . الزوابل : الرماح العلبة . تحليل : قليل .

والمعنى ، أن هذه الناقة سريعة لا تمس الأرض إلا مسا سريعا لشدة عدوها .

سمرُ العجايات يتركن الحصى زيما | لم يقهن رءوس الأكم تنعيل[١]
كأن أوب ذراعيها وقد عرقت | وقد تلفع بالقور العساقيل[٢]
يوما يظل به الحرباء مصطخداً | كأن ضاحيه بالشمس مملول[٣]
وقال للقوم حاديهم ـ وقد جعلت | ورق الجنادب يركضن الحصا ـ قيلوا[٤]
شد النهار ذراعاً عيطل نصف | قامت لجاوبها نكد مثاكيل[٥]
نواحة رخوة الضبعين ليس لها | لما نعى بكرها الناعون معقول[٦]
تفرى اللبان بكفيها ومدرعهـــا | مشقق عن تراقيها رعابيل[٧]

---

(١) العجايات: الأعصاب المتصله بالحافر . زيما : متفرقة الأكم الأرض المرتفعة . التنعيل: هو شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة .

(٢) الأوب سرعة تقلب ورجوع ذراعيها . تلفع : التحف . القور : جمع قارة : الجبل الصغير . العساقيل .السراب .

(٣) الحرباء : نوع من الدأوب الصغيرة . مصطخدا : محترقا بحرارة الشمس . ضاحيه : ما برز للشمس منه ، مملول : محروق .

(٤) الحادى : سائق الإبل . ورق : جمع أورق أو ورقاء . وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد . الجنادب جمع جندب : نوع من الجراد . يركضن : يدفعن . قيلوا : خذوا راحتكم وقت القيلولة .

(٥) شد النهار : وسطه . عيطل : طويلة . نصف : متوسطة السن وهو غاية قوتها . نكد : من لايعيش لهن ولد . مثاكيل : جمع مثكال . كثيرة فقد الأولاد .
والمعنى : يشبه سرعة حركة يدى هذه الناقة بيدى امرأة قوية تلطم خدها فيجاوبها نسوة ثكالى فيشتد لطمها .

(٦) نواحة : كثيرة النوح . صيغة مبالغة من نائحة . رخوة : مسترخية . الضبعين : العضدين . بكر : الولد الأول . الناعون : المخبرون بالموت . معقول : عقل .
والمعنى : شبه هذه الناقة بتلك المرأة فى تلك الأحوال فالناقة فى هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به التعب والإعياء .

(٧) تفرى : تقطع . اللبان : الصدر . المدرع : القميص . التراقى : جمع ترقوة . عظام الصدر . رعابيل : قطع أى : أن هذه المرأة لذهاب عقلها تقطع قيصها بأناملها . فقميصها =

تسعى الغواة جنابيها وقولهم ... إنك يا بن أبى سلمى لمقتول(١)

وقال كل صديق كنت آمله ... لا ألهينك إنى عنك مشغول(٢)

فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول(٣)

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول(٤)

نبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول(٥)

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيل(٦)

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت فى الأقاويل(٧)

لقد أقوم مقاما لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل:(٨)

لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بإذن الله تنويل(٩)

= مشقوق يظهر عظام الصدر يشبه بها الناقة فى ذهاب عقلها فلا تحس بمشقة السير .

وهكذا استقصى كعب أوصاف الناقة فى الأبيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول المرجفين به .

(١) الغواة : المفسدون . جنابيها : حواليها . مقتول : متوعد بالقتل .

(٢) آمله : أترجاه وأتمنى إعانته . لا ألهينك : أى لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف فأعمل لنفسك واتكل عليها .

(٣) خلوا سبيلى : اتركونى لأقف بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فإنى أعلم أنه يقيل التائب ولن يطالبنى بما كان قبل إسلامى .

(٤) آلة حدباء : نعش .

(٥) نبئت : أخبرت . أوعدنى : تهددنى بالقتل . مأمول : مرجو .

(٦) هداك : هداك ربك للصفح عنى والعفو ، أو زادك هدى . فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه هو الهادى المهدى . نافلة : زيادة لأن القرآن عطية زائدة عن النبوة ومنحة الرسالة .

(٧) لم أذنب : لم أخطىء فى حقك .

(٨) مقام : مجلس النبى صلى الله عليه وسلم . يقوم : يحضر .

والمعنى . أن الشاعر حضر مجلسه صلى الله عليه وسلم فشعر بالهيبة ولو حضر هذا المجلس الفيل لاضطرب من شدة الأمر .

(٩) يرعد : تأخذه الرعدة بسبب الخوف . تنويل : عطاء

حتى وضعت يمينى ما أنازعه في كف ذى نقمات قيله القيل(١)
فلهو أخوف عندى إذ أكلمه وقيل إنك منسوب ومسئول(٢)
من ضيغم بضراء الأرض مخدره فى بطن عثّر غيل دونه غيل(٣)
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من الناس معفور خراديل(٤)
إذا يساور قرناً لا يحل له أن يترك القرن إلا وهومفلول(٥)
منه تظل سباع الجو نافرة ولا تمشّى بواديه الأراجيل(٦)
ولا يزال بواديه أخو ثقة مضرج البز والدُّرسان مأكول(٧)
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول(٨)
فى عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا(٩)

---

(١) لا أنازعه : أى أطيعه . نقمات : جمع نقمة : السطوة . قيله القيل : قوله النافذ .

(٢) أخوف : أى هو صلى الله عليه وسلم أشد إخافة وإرهابا . منسوب ومسئول : أى منسوب إلى أشياء قلتها ومسئول عنها .

(٣) الضيغم : الأسد . ضراء الأرض : الأرض التى بها شجر . مخدر : غابة الأسد . عثر : مكان تكثر فيه السباع . والغيل : الأجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف .

(٤) يغدو : يخرج أول النهار للصيد . يلحم : يطعم لحما : ضرغامين : مثنى ضرغام : شبل الأسد . معفور : ملقى فى التراب . خراديل : مقطع قطعا صغيرة .

(٥) يساور : يواثب ويصارع . القرن : المماثل فى الشجاعة . مفلول : المكسور المهزوم .

(٦) الجو : مابين السماء والأرض : نافرة : بعيدة . الأراجل : جماعات من الرجال ، جمع أرجال . التى هى جماعة الرجال .

(٧) أخو ثقة : الواثق بنفسه . مضرج : مخضب بالدماء . البز : السلاح . الدرسان : مفرده دريس : الخلق من الثياب .

(٨) يستضاء به : يهتدى به إلى نور الحق . مهند : سيف طبع فى الهند . مسلول : مخرج من غمده .

(٩) العصبة : الجماعة مابين العشرة إلى الأربعين . زولوا : فعل أمر من زال التامة أى التى لها فاعل . أى تحولوا وانتقلوا .

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل(١)
شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود فى الهيجا سرابيل(٢)
بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول(٣)
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا(٤)
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل(٥)
لا يقع الطعن إلا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل(٦)

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وبيته : « حرف أخوها أبوها » وبيته : « يمشى القراد » ، وبيته : « عيرانة قذفت» ، وبيته : « تمر مثل عسيب النخل » ، وبيته : « تفرى اللبان » ، وبيته : « إذا يساور قرنا » ، وبيته : « ولا يزال بواديه » : عن غير ابن إسحاق .

كعب يسترضى الأنصار بمدحهم : قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب : « إذا عرد السود التنابيل » ، وإنما يريدنا معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ، وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته ، غضبت عليه الأنصار ؛ فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعهم من اليمن :

---

(١) الأنكاس : المهانون . ولا كشف : أى لاينكشفون فى الحرب بمعنى لاينهزمون . الميل : الذين لايحسنون الركوب . معازيل : لاسلاح معهم .

(٢) شم : جمع أشم ، وهو من فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، علامة العزة والسيادة . اللبوس : مايلبس من السلاح ، من نسج داود : أى منسوجه وهى الدروع . الهيجا : الحرب . سرابيل : دروع .

(٣) بيض : مجلوة . سوابغ : طويلة ضافية . شكت : أدخل بعضها فى بعض . القفعاء : نبات يشبه الحسك يتفرع على سطح الأرض له شوك تشبه به حلق الدرع ، مجدول : محكم صنعه .

(٤) مفاريح : كثيرو الفرح . والمفرد مفراح . نالت : أصابت . مجازيع : كثيرو الجزع . والمفرد مجزاع . نيلوا : أصيبوا .

(٥) الزهر : البيض . يعصمهم : يمنعهم . عرد : أعرض عن خصمه . التنابيل : القصار .

(٦) حياض الموت : موارد الهلاك ، ويقصد به ساحات القتال . تهليل : تأخر .

من سره كرم الحيــاة فلا يزل في مقنب من صالحى الأنصار(١)
ورثوا المكارم كابراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهــين السمهرى بأذرع كسوالف الهندى غــير قصار(٢)
والناظرين بأعــين محمرة كالجمر غــير كليلة الأبصار(٣)
والبائعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكرار(٤)
والذائدين الناس عن أديانهم بالمشرفى وبالقنا الخطار(٥)
يتطهرون يرونه نسكا لهــم بدماء من علقوا من الكفار(٦)
دربوا كما دربت ببطن خفيــة غُلب الرقاب من الأسود ضوارى(٧)
وإذا حللت ليمنعوك إليهم أصبحت عند معاقل الأعفار(٨)
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار(٩)
لو يعلم الأقوام علمى كله فيهم لصدقنى الذين أمارى(١٠)
قوم إذا خوت النجوم فإنهم للطارقين النازلين مقارى(١١)
فى الغر من غسان من جرثومة أعيت محافرها على المنقار(١٢)

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : «بانت سعاد فقلبى اليوم متبول» : لولا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات ، وهى فى قصيدة له .

---

(١) المقنب : جماعة الخيل . والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم .
(٢) السمهرى : الرمح . سوالف : حواشى . الهندى : السيف المنسوب إلى الهند .
(٣) بأعين محمرة : يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه .
(٤) تعانق : يريد به التحام الشجعان فى ميدان القتال .
(٥) المشرفى : السيف . القنا : الرماح . الخطار : المهتز .
(٦) يرونه : يعتقدونه . نسكا : عبادة .
(٧) دربوا : تعودوا . خفية : مكان تكثر فيه الأسود . غلب : غلاظ .
(٨) الأعفار : الوعول الصغيرة يضرب بها المثل لامتناعها فى قمم الجبال .
(٩) ضربوا عليا : يريد به عليا بن مسعود بن مازن الغسانى .
(١٠) أمارى : أجادل .
(١١) خوت : سقطت ولم تمطر . مقارى . القارى : الجفان التى يصنع فيها الطعام .
(١٢) وتروى : النقار .

قال ابن هشام : وذكر لى عن على بن زيد بن جدعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانت سعاد فقلبى اليوم متبول »

غزوة تبوك

فى رجب سنة تسع

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد . وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له [1] ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

ائذن لى ولا تفتنى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة : يا جد ، هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر [2] ؟ فقال : يارسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرف قومى أنه مامن رجل بأشد عجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك . ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ، ألا فى الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » . أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : « وإن جهنم لمن ورائه » .

---

(١) يصمد له : يقصده .　　(٢) بنو الأصفر : يريد بهم الروم .

شأن المنافقين : وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر ، زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق ، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نارجهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً ، جزاء بما كانوا يكسبون » .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق ابن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى ، وكان بيته عند جاسوم ، يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة . فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك فى ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد — تشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم — أنوء على رجلى كسيراً ومرفقى(١)
سلام عليكم لا أعود لمثلها — أخاف ومن تشمل به النار يحرق

حض الأغنياء على النفقة : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا(٢) ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلها .

ما أنفقه عثمان : قال ابن هشام : حدثنى من أثق به : أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض .

البكاءون والمعذرون والمتخلفون : قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبدالرحمن ابن كعب ، أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح ، أخو بنى سلمة ، وعبد الله

---

(١) طبقت : علوت . كبس : بيت صغير . (٢) احتسبوا الأجر عند الله .

ابن المغفل المزنى — وبعض الناس يقول : بل هو عبدالله بن عمرو المزنى — وهرمىّ بن عبدالله ، أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الفزارى . فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحا[1] له ، فارتحلاه ؛ وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . وقد ذكر لى أنهم نفر من بنى غفار .

ثم استتب[2] برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعب بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سلمة ومرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق ، لا يتهمون فى إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك ، سباع بن عُرفطة .

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه ، نحو ذباب[3] ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب .

---

(١) الناضح : الجمل الذى يسقى عليه الماء . (٢) استتب : انتظم وتتابع .
(٣) ذباب : جبل بالمدينة .

المنافقون يرجفون بعلي : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، إلى أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف[1] ، فقال : يانبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني ؛ فقال : كذبوا ، ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لانبي بعدي ، فرجع علي إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع علي إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول : ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين[2] لهما في حائطه[3] قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح[4] والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لي زادا ، ففعلتا . ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة : فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجرف : مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال .

(٢) العريش : ما يستظل به . (٣) الحائط : البستان .

(٤) الضح : الشمس .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك[1] يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعرا ، واسمه مالك بن قيس :

لما رأيت الناس فى الدين نافقوا ... أتيت التى كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدى لمحمد ... فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما
تركت خضيبا فى العريش وصرمة ... صفايا كراما بُسرها قد تحمما[2]
وكنت إذا شك المنافق أسمحت ... إلى الدين نفسى شطره حيث يمما

ما حدث بالحجر : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزلها ، واستقى الناس من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له . فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيء . فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيء ، فإن طيئا أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد سمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

---

(١) أولى لك : كلمة تهديد معناها الويل لك .

(٢) الصرمة : جماعة النخل . البسر : التمر : قبل نضجه . وتحمما : قارب أن يطيب .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شيء ؟! قال : سحابة مارة .

تقول ابن اللصيت : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم ، وكان عقبيا بدريا ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لصيب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذي قال زيد بن اللصيت ؛ فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل عمارة على زيد يجأ[1] في عنقه ويقول إلي عباد الله ، إن في رحلي لداهية وما أشعر ! أخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبني .

---

(١) يجأ : يطعن .

خبر أبي ذر . قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس لم يزل متهما بشر حتى هلك .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلف فلان : فيقول دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله ، قد تخلف أبو ذر (١) ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوم (٢) أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا . ونزل رسول الله في بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر (٣) ، فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله هو والله أبوذر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : فحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أباذر إلى الربذة ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قدكادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبدالله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك . ثم نزل هو أصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبدالله بن مسعود حديثه ، وماقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك .

تخويف المنافقين المسلمين : قال ابن إسحاق : وقدكان رهط من المنافقين ، منهم وديعة ابن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له :

---

(١) أبوذر : اسمه جندب بن جنادة ، وقيل برير بن عشرقة . وقيل جندب بن عبدالله . وقيل جندب بن السكن .

(٢) تلوم : تمهل .

(٣) كن أبا ذر : لفظه الأمر ، ومعناه الدعاء : كما تقول : أسلم سلمك الله .

مخشن بن حمير — قال ابن هشام : ويقال مخشى — يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ؟! والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمير : والله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمار بن ياسر أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها[1] : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » . وقال مخشن بن حمير : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ؛ وكأن الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يحنة ابن رؤبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، فهو عندهم .

فكتب ليحنة بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه ، من بر أو بحر .

خالد وأكيدر دومة : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكا عليها ، وكان نصرانيا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد ، حتى إذا كان

---

(١) الحقب : حزام يشد به على حقو الجمل .

من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت: فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيء : يقال له بجير بن بجرة ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، وماصنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبارك سائق البقرات إنى رأيت الله يهدى كل هاد
فمن يك حائداً عن ذى تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

وادى المشقق وماؤه : وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل[1] ، مايروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم ير فيه شيئا . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ! ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل

---

(١) الوشل : الماء القليل يسيل من صخر أو جبل .

يصب فى يده ماشاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وماخلفه .

ذو البجادين ودفنه وتسميته : قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه وهو يقول : أدنيا إلىّ أخاكما ، فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشام : وإنما سمى ذا البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه ، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه ، شق بجاده باثنين ، فاتزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضا : المسح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كأن أبانا فى عرانين ودقه كبير أناس فى بجاد مزمل

حديث أبى رهم فى تبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أكيمة الليثى ، عن ابن أخى أبى رهم الغفارى ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيفزعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغرز ، فطفقت أحوز[1] راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمت راحلتى راحلة رسول

---

(١) أحوز : أبعد .

الله صلى الله عليه وسلم ورجله فى الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله : حس[1] ، فقلت : يارسول الله ، استغفر لى . فقال : سر ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلف من بنى غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : مافعل النفر الحمر الطوال الثطاط[2] فحدثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : بلى ، الذين لهم نعم بشبكة شدخ[3] ؛ فتذكرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أم لهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعـــير من إبله امرءاً نشيطا فى سبيل الله ؟ إن أعز أهلى علىّ أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبـوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا ، فتصلى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لـكم فيه .

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وســـلم مالك بن الدخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومعن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان

---

(١) حس : كلمة تقال عند وجود الألم ، فهى كلمة تخرج من الصوت كالأنين ليست اسما أو اسم فعل مثل : صه ومه .

(٢) الثطاط ، مفرده ثط : صغير نبات شعر اللحية . قال الشاعر :

كهامة الشيخ اليمانى الثط

(٣) شبكة شدخ : موضع من بلاد غفار .

فقال : انطلقا إلى هذا المسجدالظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم ابن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقا بين المؤمنين » . . إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد ، من بنى عبيد بن زيد ، أحد بنى عمرو ابن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومعتّب ابن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حُنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، من بنى ضبيعة ، ومخزج ، من بنى ضبيعة ، وبجاد بن عثمان ، من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول : وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بتبوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمى ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البتراء . من ذنب كواكب ، ومسجد بالشّق ، شق تارا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بصدر حوضى ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم ، وادى القرى ، ومسجد بالرُّقعة من الشّقة ، شقة بنى عذرة ، ومسجد بذى المروة ، ومسجد بالفيفاء ، ومسجد بذى خُشُب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ماتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتاهبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيُخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحبت الظلال ، فالناس إليها صُعر(١) ؛ فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتفرط(٢) الغزو ، فهممت أن أرتحل ، فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم ، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا(٣) عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن

---

(١) صعر : مفرده . أصعر وهو المائل . (٢) تفرط : فات . (٣) مغموصا : مطعونا .

عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك . فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ماقلت ! والله يارسول الله ماعلمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك ، حضرنى بثى [١] ، فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل [٢] قادما زاح [٣] عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وإيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لى : تعاله فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى ، وليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد على فيه ، إنى لأرجو عقباى من الله فيه ، ولا والله ماكان لى عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقمت ، وثار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى فقالوا لى : والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . فوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال ابن أبى أمية الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أسوة ، فصمت حين ذكروهما لى ،

---

(١) بثى : حزنى . (٢) أظل : أشرف .

(٣) يقال زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيوحا وزيحانا .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لى نفسى والأرض ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى ، وإذ التفت نحوه أعرض عنى حتى إذ طال ذلك على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة . وهو ابن عمى ، وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط . ثم غدوت إلى السوق ، فبينا أنا أمشى بالسوق ، إذا نبطى[1] يسأل عنى من نبط الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلىّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلى كتابا من ملك غسان ، وكتب كتابا فى سرقه[2] من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة . فالحق بنا نواسك[3] » . قال: قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك . قال : فعمدت بها إلى تنور ، فسجرته[4] بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبىّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لاخادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك ؛ قالت : والله يارسول الله ما به من حركة إلىّ ، والله

---

(١) النبطى واحد النبط ، قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردن عاصمتهم (البتراء) .
(٢) السرقة : الشقة .
(٣) نواسك : أى يكون فينا المواساة لك .
(٤) سجرته : أحرقته بلهب النار .

مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ؛ قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب . قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : ياكعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبى مبشّرون ، وركض رجل إلىّ فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت ثوبىّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقانى الناس يبشروننى بالتوبة ، يقولو : ليهنك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحيانى وهنأنى ، ووالله ماقام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله ، إن من توبتى إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إنى ممسك سهمى الذى بخيبر ؛ وقلت : يارسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلانى الله ، والله ماتعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى : « لَقَدْ تابَ اللهُ عَلى النَّبى والمُهاجِرِينَ والأنصارِ الَّذينَ اتَّبعُوهُ فى ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْد ماكادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِين خُلِّفُوا » ... إلى قوله : « وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد ، قال : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ، إنهم رجس ومأواهم جنهم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم . فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .

قال : وكنا خُلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له ليعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا . وإرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه (١) .

---

(١) وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية ، لكنه فى حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد ما بقينا أبدا

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ عير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فلذلك كان التخلف عن رسول الله صلى الله وسلم فى هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة ابن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما يتحدث قومه - إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محببا مطاعا : فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لايخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على علية له . وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، يقال له أوس بن عوف ، أخو بنى سالم بن مالك . وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتاب بن مالك . يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه (١) .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

---

(١) يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور فى سورة ياسين ، الذى قال لقومه « اتبعوا المرسلين » فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مرى ، ويحتمل أن يريد صاحب الياس ، وهو اليسع ، فإن الياس يقال فى اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبرى : وهو الياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى « سلام على إل ياسين » .

حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بنى علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذى بينهما شيء ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك :أخرج إلى قال : فقال عبد ياليل للرسول: ويلك ! أعمرو أرسلك إلىّ ؟ قال نعم ، وهاهو ذا واقفاً فى دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب[1] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، وكان سن عروة ابن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب ابن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص ابن بشر بن عبد دهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بنى سالم بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث . فخرج بهم عبد ياليل ، وهو ناب القوم[2] وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، لكى يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه .

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ، ألفوا بها المغيرة بن شعبة ، يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رعيتها نَوْباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين ، وضبر[3] يشتد ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطا ، ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) السرب . القطيع من الحيوان أو الفريق من النساء أو جماعة النخل وهو أيضا الطريق والقلب والصدر .

(٢) ناب القوم : سيدهم . (٣) ضبر : وثب .

وسلم ، حتى أكون أنا أحدثه ؛ ففعل المغيرة . فدخـــل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد ابن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم ؛ وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لايهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لايكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه؛ وأما الصلاة ، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يامحمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا ـ حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان ـ بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسحور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ، لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده فى الجفنة ، فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى

على ثقيف أن قال : ياعثمان ، تجاوز فى الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبيرَ ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

هدم اللات : قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معها أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، فى هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو معتب ، خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسراً يبكين عليها ويقلن :

لتبكين دُفَّاع أسلمها الرُّضَّاع(١)
لم يحسنوا المِصاع(٢)

قال ابن هشام : « لتبكين » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واها لك ! آهالك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبى سفيان وحليها مجموع ، وما لها من الذهب والجزع .

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شىء أبداً ، فأسلما ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخالكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله ، لكن تصل مسلما ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين علىَّ ، وإنما أنا الذى أُطلب

---

(١) الرضاع : اللئام . (٢) المصاع : القتال بالسيوف.

به ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتابه عليه السلام لثقيف : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه [1] وج وصيده لايعضد [2] ، من وجد يفعل شيئا من ذلك ، فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبى محمد ، وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد: بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعده أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبى بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصد عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب خصائص ، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن

---

(١) العضاه : شجر له شوك .

(٢) لا يعضد : لايقطع أى أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة ، وقيل وج : هى الطائف وقيل إنها واد بها .

تخلف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير مايظهرون ، منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا ، فقال عز وجل : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » : أى لأهل العهد العام من أهل الشرك « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وأن الله مخزى الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » : أى بعد هذه الحجة « فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من المشركين » : أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى « ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . فإذا انسلخ الأشهر الحرم » : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم . وإن أحد من المشركين » : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم « استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لايعلمون » .

ثم قال : « كيف يكون للمشركين » الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لايخيفوكم ولا يخيفوهم فى الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام « عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهى الديل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » .

ثم قال تعالى : « كيف وإن يظهروا عليكم » : أى المشركون الذين لاعهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام « لايرقبوا فيكم إلاًّ ولاذمة » .

قال ابن هشام : الإل : الحلف . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم :

لولا بنو مالك والإل مرقبة ... ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إل من الآلال بينى وبينكم فلا تألُن جهداً

والذمة: العهد. قال الأجدع بن مالك الهمدانى، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه:

وكان علينا ذمة أن تجاوزوا من الأرض معروفا إلينا ومنكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له، وجمعها: ذمم.

« يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون. اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، فصدوا عن سبيله، إنهم ساء ما كانوا يعملون. لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، وأولئك هم المعتدون » أى قد اعتدوا عليكم « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين، ونفصل الآيات لقوم يعلمون ».

اختصاص على بتأدية براءة: قال ابن إسحاق: وحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنيف، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج، قيل له: يارسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر، فقال: لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى، ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه، فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته، فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج، التى كانوا عليها فى الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام على بن أبى طالب رضى الله عنه، فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته: وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

الأمر بجهاد المشركين : قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوَ فيها عاد منهم ، فيقتل بعدائه ، فقال : « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله » : أى من بعد ذلك « على من يشاء ، والله عليم حكيم . أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون » .

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من ولج يلج : أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » : أى يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يسرون إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان للذين آمنوا « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جعلت وليجة ساقوا إليك الحتف غير مشوب

القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت : قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحج ، وعمار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ؛ فقال : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » : أى أن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أى من يعمرها بحقها « من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » : أى فأولئك عمارها « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » وعسى من الله : حق .

قال تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستون عند الله » .

ثم القصة عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عَـيْـلة » وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، فلتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » : أى من وجه غير ذلك « إن شاء ، إن الله عليم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

صاغرون » : أى فى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل فى أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : «إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ».

ما نزل فى النسىء : ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها : فقال : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض . منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولاحلالها حراما : أى كما فعل أهل الشرك « إنما النسىء » الذى كانوا يصنعون « زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لايهدى القوم الكافرين » .

ما نزل فى تبوك : ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من نافق من المنافقين ، حين دعوا إلى مادعوا إليه من الجهاد ، ثم مانعى عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : «يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم » إلى قوله تعالى: « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار » .

ما نزل فى أهل النفاق : ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : « لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم إنهم لكاذبون » : أى إنهم يستطيعون « عفا الله عنك ، لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » ؟ . . . إلى قوله : «لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم ، يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » .

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ؛ قال الأجدع بن مالك الهمدانى :

يصطادك الوحد المدل بشأوه بشريج بين الشد والإيضاع(١)

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبد الله بن أبى بن سلول ، والجد بن قيس ؛ وكانوا أشرافا فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : « وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين ، لقد ابتغوا الفتنة من قبل » : أى من قبل أن يستأذنوك ، « وقلبوا لك الأمور » : أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك « حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا » ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سمى لنا ، الجد بن قيس ، أخو بنى سلمة ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلا لولّوا إليه وهم يجمحون . ومنهم من يلمزك فى الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ما نزل فى أصحاب الصدقات : ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها ، فقال : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

ما نزل فيمن آذوا الرسول : ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئا صدقه . يقول الله تعالى : « قل أذن خير لكم » : أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : « يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » .

---

(١) يريد بالوحد : الفرس الواحد . شأوه : سبقه . الشريج : النوع . الشد والإيضاع نوعان من الجرى .

ثم قال : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون » . . . إلى قوله تعالى : « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن بن حمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة . وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ، يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » . . . إلى قوله : « من ولى ولا نصير » . وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمر بن عوف .

ثم قال : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » ، وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، على شدة الحر وجدب البلاد ، فقال تعالى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ؛ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً » . إلى قوله : ولا تعجبك أموالهم وأولادهم » .

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبى : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله ابن أبى ، دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد

الصلاة، تحولت حتى قمت فى صدره، فقلت: يارسول الله، أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى ابن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدد أيامه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر، أخّر عنى، إنى قد خيرت فاخترت، قد قيل لى: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم»، فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له، لزدت. قال: ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه. قال: فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان: «ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون». فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى.

ما نزل فى المستأذنين والمعذرين والبكائين ومنافقى الأعراب: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: «وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم». وكان ابن أبى من أولئك، فنعى الله ذلك عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: «لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها. ذلك الفوز العظيم. وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله»... إلى آخر القصة. وكان المعذرون، فيما بلغنى نفراً من بنى غفار، منهم خفاف بن أيماء بن رَحَضة، ثم كانت القصة لأهل العذر، حتى انتهى إلى قوله: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون»، وهم البكاءون.

ثم قال تعالى: «إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون». الخوالف: النساء. ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم، فقال: «فأعرضوا عنهم»، إلى قوله تعالى: «فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين».

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين، فقال: «ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق»: أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله «مغرما ويتربص بكم الدوائر، عليهم دائرة السوء، والله سميع عليم».

ما نزل فى المخلصين من الأعراب: ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم،

فقال: «وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ، ألا إنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ».

مانزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار: ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال: «رضى الله عنهم ورضوا عنه»، ثم قال تعالى: «ومِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرَابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أهْلِ المدينةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ»: أى لجوا فيه، وأبوا غيره «سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ»، والعذاب الذى أوعده الله تعالى مرتين، فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه، عذاب النار والخلد فيه. ثم قال تعالى: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا، عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنَّ اللهَ غَفُور رَحِيم».

ثم قال تعالى: «خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا» إلى آخر القصة. ثم قال تعالى: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللهِ: إمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإمَّا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ»، وهم الثلاثة الذين خلفوا، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم. ثم قال تعالى: «والَّذين اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِراراً» . . . إلى آخر القصة ثم قال تعالى «إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ»، ثم كان قصة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة، لما كشفت من سرائر الناس. وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حسان يعدد مغازيه صلى الله عليه وسلم شعرا

وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألست خير معد كلها نفراً ... ومعشراً إن هم عُمُّوا وإن حُصِلوا(١)
قوم هم شهدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألوا وما خذلوا(٢)
وبايعوه فلم ينكث به أحد ... منهم ولم يك فى إيمانهم دَخل(٣)
ويوم صبحهم فى الشعب من أحد ... ضرب رصين كحر النار مشتعل(٤)
ويوم ذى قرد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خاموا وما نكلوا(٥)
وذا العشيرة جاسوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البيض والأسل(٦)
ويوم وَدّان أجلوا أهله رقصا ... بالخيل حتى نهانا الحَزْن والجبل(٧)
وليلة طلبوا فيها عدوهم ... لله والله يجزيهم بما عملوا
وغزوة يوم نجد ثم كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وليلة بحنين جالدوا معه ... فيها يعلهم بالحرب إذ نهلوا(٨)
وغزوة القاع فرقنا العدو به ... كما تفرق دون المشرب الرُسُلُ(٩)
ويوم بويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا فى سريته ... مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم خيبر كانوا فى كتيبته ... يمشون كلهم مستبسل بطل

---

(١) حصلوا : أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصلوا : جمعوا .
(٢) ألوا : قصروا . (٣) دخل : فساد
(٤) رصين : ثابت . (٥) خام : جبن وتراجع
(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .
(٧) الرقص : نوع من المشى . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .
(٨) يعلهم : يكرر عليهم، من العلل وهو الشرب الثانى . نهلوا : شربوا الشرب الأول .
(٩) الرسل : الإبل .

بالبيض ترعش فى الأيمان عارية ... تعوج فى الضرب أحيانا وتعتدل
ويوم سار رسول الله محتسبا ... إلى تبوك وهم راياته الأول
وساسة الحرب إن حرب بدت لهم ... حتى بدا لهم الإقبال والقفل(١)
أولئك القوم أنصار النبى وهم ... قومى أصير إليهم حين أتصل
ماتوا كراما ولم تنكث عهودهم ... وقتلهم فى سبيل الله إذ قتلوا

قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كنا ملوك الناس قبل محمد ... فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل
وأكرمنا الله الذى ليس غيره ... إله بأيام مضت ما لها شكل
بنصر الإله والرسول ودينه ... وألبسناه اسماً مضى ماله مثل
أولئك قومى خير قوم بأسرهم ... فما عد من خير فقومى له أهل
يربون بالمعروف معروف من مضى ... وليس عليهم دون معروفهم قفل (٢)
إذا اختبطوا لم يفحشوا فى نديهم ... وليس على سؤالهم عندهم بخل(٣)
وإن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا ... فحربهم حتف وسلمهم سهل
وجارهم موف بعلياء بيته ... له ما ثوى فينا الكرامة والبذل
وحاملهم موف بكل حمالة ... تحمل لا غرم عليها ولا خذل
وقائلهم بالحق إن قال قائل ... وحلمهم عود وحكمهم عدل (٤)
ومنا أمير المسلمين حياته ... ومن غسلته من جنابته الرسل (٥)

قال ابن هشام : وقوله : « وألبسناه اسما » عن غير ابن إسحاق :

---

(١) القفل : الرجوع . (٢) يربون : يصلحون .
(٣) اختبطوا : قصدوا . (٤) عود : متكرر .
(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعا مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم . أما من غسلته الملائكة . هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

قومى أولئك إن تسألى ... كرام إذا الضيف يوما ألم
عظام القدور لأيسارهم ... يكبون فيها المسن السنم (١)
يؤاسون جارهم فى الغنى ... ويحمون مولاهم إن ظلم
فكانوا ملوكا بأرضيهم ... ينادون عضبا بأمر غشم
ملوكا على الناس ، لم يملكوا ... من الدهر يوما كحل القسم (٢)
فأنبوا بعاد وأشياعهم ... ثمود وبعض بقايا إرم (٣)
بيثرب قد شيدوا فى النخيل ... حصونا ودجن فيها النعم (٤)
نواضح قد علمتها اليهو ... د : عل — إليك وقولا هلم (٥)
وفما اشتهوا من عصير القطا ... ف والعيش رخوا على غيرهم
فسرنا إليهم بأثقالنا ... على كل فحل هجان قطم (٦)
جنبنا بهن جياد الخيو ... ل قد جللوها جلال الأدم (٧)
فلما أناخوا بجنبى صرار ... وشدوا السروج بلى الحزم
فما راعهم غير معج الخيو ... ل والزحف من خلفهم قد دهم (٨)
فطاروا سراعا وقد أفزعوا ... وجئنا إليهم كأسد الأجم
على كل سلهبة فى الصيا ... ن لايشتكين نحول السأم (٩)
وكل كميت مطار الفؤاد ... أمين الفصوص كمثل الزلم (١٠)
عليها فوارس قد عودوا ... قراع الكماة وضرب البهم (١١)
ملوك إذا غشموا فى البلاد ... لاينكلون ولكن قدم (١٢)

(١) الأيسار : من يدخلون فى الميسر . السنم : عظيم السنام .
(٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة .
(٣) أنبوا : أنبئوا . (٤) دجن : اتخذت فى البيوت .
(٥) النواضح : الإبل التى يسقى عليها الماء . عل : كلمة تزجربها الإبل .
(٦) الهجان : الأبيض . قطم : المشتهى الضراب .
(٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا . جللوها : غطوها . الأدم : الجلد .
(٨) معج : سرعة . (٩) السلهبة : الفرس السريعة .
(١٠) مطار : ذكى . أمين الفصوص : ماقوى من العظام . الزلم : القدح .
(١١) البهم : الأبطال الشجعان . (١٢) غشموا : اشتد ظلمهم .

فأبنا بساداتهم والنساء … وأولادهم فيهم تقتسم
ورثنا مساكنهم بعدهم … وكنا ملوكا بها لم نرم
فلما أتانا الرسول الرشيـ … ـد بالحق والنور بعد الظلم
قلنا صدقت رسول المليك … هلم إلينا وفينا أقم
فنشهد أنك عبد الإلـ … ـه أرسلت نوراً بدين قيم
فأنا وأولادنا جنة … نقيك وفى مالنا فاحتكم
فنحن أولئك إن كذبوك … فناد نداء ولا تحتشم
وناد بما كنت أخفيته … نداء جهاراً ولا تكتتم
فصار الغواة بأسيافهم … إليه يظنون أن يخترم (١)
فقمنا إليهم بأسيافنا … نجالد عنه بغاة الأمم
بكل صقيل له ميعة … رقيق الذباب عضوض خذم (٢)
إذا ما يصادف صم العظا … م لم ينب عنها ولم ينثلم
فذلك ما ورثتنا القرو … م مجداً تليداً وعزاً أشم (٣)
إذا مر نسل كفى نسله … وغادر نسلا إذا ما انفصم (٤)
فما إن من الناس إلا لنا … عليه وإن خاس فضل النعم (٥)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

فكانوا ملوكا بأرضيهم … ينادون غضبا بأمر غشم

وأنشدنى :

بيثرب قد شيدوا فى النخيل … حصونا ودجن فيها النعم

وبيته . . . « وكل كميت مطار الفؤاد » عنه .

---

(١) يخترم : يهلك .
(٢) له ميعة أى مصقول يشبه المائعات فى بريقه وصفائه . الذباب حد السيف . خذم : قاطع .
(٣) القروم : السادة . التليد : القديم . الأشم : العالى .
(٤) انفصم : انقرض (٥) خاس : غدر .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة :أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لاينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام وعرفت العرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد : فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه عطارد ابن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحبحاب بن يزيد .

الحتات : قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين ، بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين أبى ذر الغفارى والمقداد بن عمرو البهرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيان والحتات بن يزيد المجاشعى فمات الحتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ماترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية .

أبوك وعمى يامعاوى أورثا ... تراثا فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته ومیراث حرب جامد لك ذائبه

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك ، والحتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بنى منقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف .

أصحاب الحجرات : فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ؛ قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل .

كلمة عطارد : فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس وأولى فضلهم ؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة

الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فعالا . ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولى هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

الزبرقان يفتخر بقومه : فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع(١)
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزع(٢)
بما ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هُوِيّاً ثم تصطنع(٣)
فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا(٤)
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم ... إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تُستمع
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال ابن هشام : ويروى :

منا الملوك وفينا تقسم الربع(٥)

ويروى : ... من كل أرض هوانا ثم تتبع

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان .

حسان يرد على الزبرقان : قال ابن إسحاق : وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله

---

(١) البيع : أماكن العبادة . (٢) القزع : السحاب ليس فيه مطر
(٣) هويا : سراعا .
(٤) الكوم : النوق عظام الأسنمة . عبطا : بلا سبب . الأرومة : الكرم .
(٥) الربع والمرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

صلى الله عليه وسلم قال حسان : جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ... على أنف راض من معد وراغم
منعناه لما حل بين بيوتنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم
ببيت حريد عزه وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الأعاجم(١)
هل المجد إلا السودد العود والندى ... وجاه الملوك واحتمال العظائم(٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان ، فقال :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع(٣)
يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع(٤)
إن كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون مارقعوا(٥)
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا(٦)
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم ... لا يطبعون ولا يرديهم طمع(٧)
لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع(٨)

---

(١) الحريد : الفريد فى العز . الجولان : بلد بسوريا والمراد أن عزهم قديم متصل بحضارة الغساسنة فى الشام .
(٢) السودد : المجد . والعود : المتكرر . (٣) الذوائب : السادة الأشراف .
(٤) السجية : الطبيعة . (٥) أوهت : هدمت .
(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا . (٧) لا يطبعون : لا يتدنسون .
(٨) طبع : دنس .

إذا نصبنا لحى لم ندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذّرع(١)
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا(٢)
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خُور ولا هلع(٣)
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع ... أُسد بحلية فى أرساغها فدع(٤)
خذ منهم ما أتى عفواً إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
فإن فى حربهم — فاترك عداوتهم — ... شرا يخاض عليه السّم والسلع(٥)
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفاوتت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلبٌ يؤازره ... فيما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم ... إن جد بالناس جِدُّ القول أو شمعوا(٦)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد :

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا

شعر آخر للزبرقان بن بدر : وقال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم : أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... إذا احتفلوا عند احتضار المواسم
بأنا فروع الناس فى كل موطن ... وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم
وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا ... ونضرب رأس الأصيد المتفاقم(٧)

---

(١) نصبنا : أظهرنا العداوة . الذرع : ولد بقرة الوحش .
(٢) نسمو : ننهض . الزعانف : يريد بها : أطراف الناس . خشعوا : تذللوا .
(٣) الخور : الضعفاء .
(٤) مكتنع : قريب . حلية مكان باليمن كانت تكثر فيه الأسود . الارساغ جمع رسغ : مفصل ما بين الساق والقدم . فدع : اعوجاج .
(٥) السلع : نبات سام .   (٦) شمعوا : هزلوا .
(٧) المعلمون : الشجعان الذين يضعون عليهم علامة يعرفون بها . الأصيد : المتكبر . المتفاقم : المتعاظم .

وأن لنا المرباع فى كل غارة · نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هل المجد إلا السودد العود والندى · وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبى محمداً · على أنف راض من معد وراغم
بحى حريد أصله وثراؤه · بجابية الجولان وسط الأعاجم
نصرناه لما حل وسط ديارنا · بأسيافنا من كل باغ وظالم(١)
جعلنا بنينا دونه وبناتنا · وطبنا له نفسا بفىء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا · على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها · ولدنا نبى الخير من آل هاشم(٢)
بنى دارم لاتفخروا إن فخركم · يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم · لنا خول ما بين ظئر وخادم ؟(٣)
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم · وأموالكم أن تقسموا فى المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا · ولا تلبسوا زيا كزى الأعاجم

إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لمؤتى له(٤) ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم(٥) ، وكان أصغرهم سنا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد

---

(١) انظر شرح الأبيات السابقة فى هامش ص ١٥٥ .
(٢) ذلك أن ام عبدالمطلب . من أهل يثرب .
(٣) هبلتم : ثكلتم . الخول : العبيد والخدم . الظئر : المرضعة غير ولدها .
(٤) مؤتى له : أى موفق .
(٥) ظهرهم : إبلهم .

كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسا قال ذلك يهجوه :

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى عند الرسول فلم تصدق ولم تصب[١]
سدناكم سُودداً رهواً وسوددكم باد نواجذه مقع على الذنب[٢]

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون » .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

رؤساء الوفد : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

عامر يدبر الغدر بالرسول : فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؛ ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالنى[٣] ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالنى . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يحير شيئا ؛ قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالنى قال :

---

(١) الهلباء فى الأصل: شعر الذنب ويريد به هنا مؤخرته .
(٢) رهوا : متسعا . النواجذ : الأسنان . مقع : جالس على الذنب : يريد به هنا مؤخرته .
(٣) خالنى : أى اتخذنى خليلا .

لا ، حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا : فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم اكفنى عامر بن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال : لا أبالك ؛ لاتعجل علىّ ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلتَ بينى وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه: وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعونَ فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول : يابنى عامر ، أغدة كغدة البكر[1] فى بيت امرأة من بنى سلول ؟ !

قال ابن هشام : ويقال أغدة كغدة الإبل ، وموتا فى بيت سلولية .

موت أربد بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما . وكان أربد ابن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه .

مانزل فى عامر وأربد : قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال : وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » . إلى قوله « ومالهم من دونه من وال » .

قال : المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محمدا ، ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » إلى قوله : « شديد المحال » .

شعر لبيد فى بكاء أربد : قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

ما إن تُعدّى المنون من أحـــد   لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا   أرهب نوء السماك والأسد

---

(١) الغدة : مرض يصيب الإبل تموت منه . البكر : الفتى من الإبل .

فعين هـــلا بكيت أربد إذ　　قمنا وقام النساء فى كبد[1]
إن يشغبوا لا يبال شغبهم　　أو يقصدوا فى الحكوم يقتصد
حلو أريب وفى حلاوته　　مر لطيف الأحشاء والكبد
وعين هـــلا بكيت أربد إذ　　ألوت رياح الشتاء بالعضـــد
وأصبحت لاقحـــا مصرّمـــة　　حتى تجلت غوابر المُـــدد[2]
أشجع من ليث غابةٍ لحم　　ذو نهمة فى العـــلا ومنتقد[3]
لا تبلغ العين كل نهمتهـــا　　ليلة تمسى الجياد كالقِـــدد[4]
الباعث النوْح فى مآتمـــه　　مثل الظباء الأبكار بالجرَد[5]
فجعنى البرق والصواعق بالـــفارس يوم الكريهة النجد
والحارب الجـــابر الحريب إذا　　جاء نكيبا وإن يَعُدْ يعد[6]
يعفو على الجهد والسؤال كما　　ينبت غيث الربيع ذو الرصد[7]
كل بنى حرة مصيرهم　　قُلٌّ وإن أكثرتْ من العـــدد
إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا　　يوما فهم للهـــلاك والنفد

قال ابن هشام : بيته : « والحارب الجابر الحريب » عن أبى عبيدة ، وبيته : « يعفو على الجهد » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا يبكى أربد :

ألا ذهب المحافظ والمحـــامى　　ومانع ضيمها يوم الخصـــام
وأيقنت التفرق يوم قالوا　　تقُسِّم مال أربد بالسهام
تطير عدائد الأشراك شفعا　　ووترا والزعامة للغلام[8]

---

(١) الكبد : المشقة .
(٢) مصرمة : لا لبن فيها . الغوابر : البقايا .
(٣) لحم : كثير أكل اللحم . منتقد : بصير بالأمور .
(٤) القدد : السيور تصنع من الجلد .
(٥) النوح : جماعة النساء النائحة . الجرد : الأراضى القاحلة .
(٦) الحارب : السالب . والنكيب : المصاب .
(٧) يعفو : يعطى . الرصد : الكلأ القليل .
(٨) العدائد : الأنصباء . الأشراك : الشركاء .

فودع بالسلام أبا حُريز ... وقلْ وداع أربد بالسلام
وكنت إمامنا ولنا نظاما ... وكان الجزع يُحفظ بالنظام(١)
وأربد فارس الهيجا إذا ما ... تقعرت المشاجر بالفئام(٢)
إذا بكر النساء مردفات ... حواسر لا يُجئن على الخدام(٣)
فواءل يوم ذلك من أتاه ... كما وأل المحل إلى الحرام(٤)
ويحمد قدر أربد من عراها ... إذا ما ذم أرباب اللحام
وجارته إذا حلت لديه ... لها نفل وحظ من سنام
فإن تقعد فمكرمة حصان ... وإن تظعن فمحسنة الكلام
وهل حدثت عن أخوين داما ... على الأيام إلا ابنى شمام(٥)
وإلا الفرقدين وآل نعش ... خوالد ما تحدث بانهدام(٦)

قال ابن هشام : وهى فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا يبكى أربد :

انع الكريم للكريم أربدا ... انع الرئيس واللطيف كبدا
يحذى ويعطى ماله ليحمدا ... أدْما يشبهن صُوارا أبَّدا(٧)
السابل الفضل إذا ما عُددا ... ويملأ الجفنة ملئا مددا(٨)
رفها إذا يأتى ضريك وردا ... مثل الذى فى الغيل يقرو جمدا(٩)
يزداد قربا منهم أن يوعدا ... أورثتنا تراث غير أنكدا

(١) الجزع : الخرز اليمانى .
(٢) المشاجر : نوع من الهوادج . الفئام : ما يفرش فى الهودج .
(٣) يجئن : يعطين.الخدام مفردها خدمة ، الساق
(٤) وأل : ألجأ . (٥) ابنا شمام : جبلان .
(٦) الفرقدان : نجمان نيران.وآل نعش يقصد بنات نعشى الكبرى والصغرى : مجموعات من النجوم .
(٧) يحذى : يعطى . الأدم : الإبل البيض . الصور : القطيع من بقر الوحش . أبدا : نافرة . (٨) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الأبنوس (٩) رفها : متكررا . الضريك : الفقير . الغيل : أكمة الأسد . يقرو : يتتبع . جمد : اسم جبل .

غِبا ومالا طارفا ووِلدا شرخا صقوراً يافعا وأمردا(١)

وقال لبيد أيضا :

لن تُفنيا خيرات أر بدَ فابكيا حتى يعودا
قولا هو البطل المحا مى حين يكسون الحديدا
ويصد عنا الظالمـيـ ـن. إذا لقينا القوم صيدا(٢)
فاعتاقه رب البريـ ـة إذ رأى أن لا خلودا(٣)
فثوى ولم يوجع ولم يوصب وكان هو الفقيدا

وقال لبيدُ أيضا :

يذكرنى بأربد كل خصم ألد تخال خطته ضرارا(٤)
إذا اقتصدوا فمقتصد كريم وإن جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعا إذا ما دليل القوم بالموماة حارا(٥)

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا :

أصبحت أمشى بعد سلمى بن مالك وبعد أبى قيس وعروة كالأجب(٦)
إذا ما رأى ظل الغراب أضجه حذاراً على باقى السناسن والعصب(٧)

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم يقال له ضمام بن ثعلبة .

---

(١) شرخا : شبابا . اليافع : الغلام قارب البلوغ . والأمرد : الذى لما تنبت لحيته .
(٢) الصيد : المتكبرون (٣) اعتاقه : أعاقه عن أن يبلغ غايته .
(٤) ألد : قوى الخصومة . (٥) الموماة : الصحراء . (٦) الأجب : مقطوع السنام.
(٧) أضجه : صاح عليه . السناسن : فقار الظهر .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنوسعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ؛ وكان ضمام رجلا جلداً أشعر ذا غديرتين(١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : أمحمد ؛ قال : نعم ؛ قال : يابن عبد المطلب، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة ، فلاتجدن فى نفسك ، قال : لاأجد فى نفسى ، فسل عما بدالك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لاإله إلاالله وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب مانهيتنى عنه ، ثم لاأزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعا . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذوالعقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه الاسلام : قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه . فكان أول ماتكلم به أن قال : بئست اللات والعزى ! قالوا : مه ياضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لايضران ولاينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ومانهاكم عنه . قال : فوالله ماأمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلامسلما .

قال : يقول عبدالله بن عباس : فما سمعنا بوافد قدم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

---

(١) غديرتين : ذؤابتين من شعر .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا.

إسلامه: قال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه؛ فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال: يا محمد، إنى قد كنت على دين، وإنى تارك دينى لدينك، أفتضمن لى دينى؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه. قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحملان، فقال: والله ما عندى ما أحملكم عليه. قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس: أفنتبلغ عليها إلى بلادنا؟ قال: لا، إياك وإياها، فإنما تلك حرق النار.

موقفه من ردة قومه: فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صلبا على دينه، حتى هلك وقد أدرك الردة، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر [1]، قام الجارود فتكلم، فتشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأكفّر من لم يشهد.

قال ابن هشام: ويروى: وأكفى من لم يشهد.

إسلام المنذر بن ساوى: قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى، فأسلم فحسن إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين.

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب

قال ابن هشام: مسيلمة بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة.

---

(١) أسمه المنذر: وسمى الغرور لأنه غر قومه يوم حرب الردة.

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار، فحدثنى بعض علمائنا من المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه . معه عسيب من سعف النخل ، فى رأسه خوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا: يارسول الله إنا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ؛ أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تنبؤ مسيلمة : قال ؛ ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[1] للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق[2] وحشى » . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ، فأصفقت[3] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى من لا أتهم من

---

(١) مضاهاة : مشابهة . (٢) الصفاق ما رق من البطن .

(٣) أصفقت : اجتمعت .

رجال طيء ؛ ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقطع له فيدا وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم[1] فلم يثبته — فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمرتحل قومي المشارق غدوة   وأترك في بيت بفردة منجد
ألا رب يوم لو مرضت لعادني   عوائد من لم يبر منهن يجهد[2]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرقتها بالنار .

قدوم عدي بن حاتم

وأما عدي بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغني : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرءاً شريفا وكنت نصرانيا ، وكنت أسير في قومي بالمرباع[3] فكنت في نفسي على دين وكنت ملكا في قومي ، لما كان يصنع بي . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي ، راعيا لإبلي : لا أبا لك ، أعدد لي من إبلي أجمالا ذللا[4] سمانا ، فاحتبسها قريبا مني ، فإذا سمعت بجيش

(١) والاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمى ، هو أم كلبة ، قاله أبو عبيدة في مقاتل الفرسان ، ولم أره ، ولكن رأيت البكري ذكره في باب أفرده من أسماء البلاد ، ولها أيضاً اسم سوى هذه الأسماء ذكره ابن دريد في الجمهرة ، قال : سباط ، من أسماء الحمى على وزن رقاش ، وأما أم ملدم ، فيقال بالدال ، وبالذال وبكسر الميم وفتحها ، وهو من اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيراً من كلبة بضم الكاف ، والكلبة شدة الرعدة ، وكلب البرد شدائده ، انظر الروض ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٢) يبرى : يجهد .   (٣) أي آخذ ربع الغنيمة وكذلك كان يفعل الرؤساء في الجاهلية .

(٤) الذلل : السهلة .

لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدى . ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلى أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ؛فسلكت الجوشية ، ويقال : الحوشية فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتا[١] لحاتم فى الحاضر ؛ فلما قدمت الشام أقمت بها .

أسر الرسول ابنة حاتم : وتخالفنى خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحبسن فيها ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن على من الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مر بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه ، قالت : فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن على من الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ،حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام . قالت:فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قدقدم رهط من قومى ، لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى: فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظعينة[٢] تصوب إلىّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت[٣] تقول : القاطع الظالم ، احتملت

---

(١) يقول السهيلى : اسمها سفانة ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عدياً يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدى ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتبى ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهى إذاً هذه المذكورة فى السيرة .والله أعلم .

(١) الظعينة : المرأة فى الهودج . (٢) انسحلت : أخذت تلوم .

بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت : أى أخية ، لا تقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن ، وأنت أنت ، قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة من أدم محشوة ليفا ، فقذفها إلى ؛ فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه ياعدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ؛ قال قلت : أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم ما يجهل ؛ ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وايم الله لتكون الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يؤخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ؛ أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد : الأجدع ابن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حريم الهمدانى .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك :

مررنا على لفاة وهنّ خوص ... ينازعن الأعنة ينتحينا(١)
فإن نَغلب فغلابون قُدما ... وإن نُغلب فغير مغلبينا(٢)
وما إن طِبنا جبن ولكن ... منايانا وطعمة آخرينا(٣)
كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا
فبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لُبست غضارته سنينا
إذ انقلبت به كرات دهر ... فألفيت الألى غبطوا طحينا
فمن يغبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خئونا
فلو خلد الملوك إذن خلدنا ... ولو بقى الكرام إذن بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومى ... كما أفنى القرون الأولينا

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله : «فإن نغلب» عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مُسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة ، قال :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرِّجل خان الرجل عرق نسائها(١)
قربت راحلتى أؤم محمداً ... أرجو فواضلها وحسن ثرائها

---

(١) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .

(٢) معنى البيت : أن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم أما وقد انهزمنا مرةفان تتكرر .

(٣) طبنا : شأننا وعادتنا .

(٤) النساء : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، مده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال عرق النساء لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ قال : يارسول الله ، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومَذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب فى اناس من بنى زَبيد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد ، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ياقيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدقه ، وآمن به

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً ، وتحطم عليه(١) ، وقال : خالفنى وترك رأيى فقال عمرو بن معديكرب فى ذلك :

أمرتك يوم ذى صنعا ء أمراً باديا رشده
أمرتك باتقاء الله والمعروف تتعده
خرجت من المنى مثل الـ حمير غره وتده
تمنانى على فرس عليه جالسا أسده
على مفاضة كالنهـ ى أخلص ماءه جدده(٢)
ترد الرمح منثنى السـ نان عوائراً قصده(٣)

---

(١) تحطم عليه : اشتد علي .

(١) مفاضة : أى درع مفاضة ، وهى الواسعة . النهى : غدير الماء . الجدد : الأرض الصلبة.

(٢) عوائر : متطايرة . القصد : القطع المتطايرة من الرمح .

فلو لاقيتنى للقيـ ـت ليثا فوقه لبده(١)
تلاقى شنبثا شثن الـ ـبراثن ناشزاً كتده(٢)
يسامى القرن إن قرن تيممه فيعتضده(٣)
فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصده(٤)
فيدمغه فيحطمه فيخضمه فيزدرده(٥)
ظلوم الشرك فيما أحـ ـرزت أنيابه ويده

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة:

أمرتك يوم ذى صنعا ء أمراً بينا رشده
أمرتك باتقاء الله تأتيه وتتعده
فكنت كذى الحميرغْ ـرَه مما به وتده

ارتداد عمرو بعد موت الرسول: قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معد يكرب وقال حين ارتد:

وجدنا ملك فروة شر ملك حماراً ساف منخره بثفر(٦)
وكنت إذا رأيت أبا عمير ترى الحُوَلاء من خبث وغدر(٧)

قال ابن هشام: قوله بثفر، عن أبى عبيدة.

---

(١) اللبد: الشعر الذى على أكتاف ورءوس الأسود المفرد لبدة.

(٢) الشنبث: الذى لا يزايل خصمه. الشثن: غليظ الأصابع: البراثن: مخالب الأسد. ناشز: مرتفع. الكتد: ما بين الكتفين.

(٣) يعتضده: يضعه تحت عضده فيصرعه (٤) يقتصده: يصرعه

(٥) يدمغه: يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه. يحطمه: يكسره. يخضمه: يأكله. يزدرده: يبتلعه.

(٦) ساف: شم. الثفر للبهائم كالرحم للنساء.

(٧) الحولاء: مايخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة، يشبه من يهجوه أنه فى الخبث والقذارة مثل الحولاء.

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس ، فى وفد كندة فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكبا من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، وقد رجلوا(١) جممهم (٢) وتكحلوا ، وعليهم جبب الحبرة ، وقد كففوها (٣) بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تسلموا ؟ قالوا . بلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ، قال : فشقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله : نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار، قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ، قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعززان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لانقفوا (٤) أمنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار : الحارث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندى ، ويقال كندة ، وإنما سمى آكل المرار ، لأن عمرو بن الهبولة الغسانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أم أناس بنت عوف بن محلم الشيبانى ، امرأة الحارث بن عمرو فقالت لعمرو فى مسيره : لكأنى برجل أدلم (١) أسود ، كأن مشافره مشافر

---

(١) رجلوا: مشطوا .   (٢) الجمم جمع: جمة . بمجتمع شعر مقدم الرأس .

(٣) كفتوا : طرزوا حروفها .

(٤) لانقفو أمنا : لانتبع نسب أمنا . وقد أصاب الأشعث فى بعض قوله فتمد كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سرير بن ثلعبة ابن الحارث الكندى ، وهى أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هى جدة كلاب ، أم أمه هند .

(٥) الأدلم : مسترخى الشفتين .

بعير آكل مرار (١) قد أخذ برقبتك ، تعنى الحارث ، فسمى آكل المرار ، والمرار : شجر . ثم تبعه الحارث فى بنى بكر بن وائل، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حلزة اليشكرى لعمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند اللخمى :

وأقدناك رب غسان بالمنـ ... ـذر كرها إذ لا تـكال الدماء

لأن الحارث الأعرج الغسانى قتل المنذر أباه ، وهذا البيت فى قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ،وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع[٢] : ويقال بل آكل المرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمى آكل المرار ، لأنه أكل هو وأصحابه فى تلك الغزوة شجرا يقال له المرار .

قدوم صرد بن عبدالله الأزدى مسلما

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد بن عبد الله الأزدى ، فأسلم ، وحسن إسلامه فى وفد من الأزد ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرش : فخرج صرد بن عبدالله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجرش ، وهى يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت (٣) إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ، فبيناهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يارسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالا : فما شأنه يارسول الله ؟ قال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن ،

---

(١) المرار : نبات شديد المرورة إذا أكله البعير تقبضت شفتاه من المرارة .

(٢) أى قطع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) ضوت : لجأت .

قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر وإلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبدالله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ماذكر .

إسلام أهل جرش: وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، وبقرة الحرث ، فمن رعاه من الناس فمالهم سحت : فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد . وكانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يعدون فى الشهر الحرام :

ياغزوة ماغزونا غـــير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميراً فى مصانعها ... وجمع خثعم قد شاعت لها النذر[1]
إذا وضعت غليلا كنت أحمله ... فما أبالى أدانوا بعد أم كفروا[2]

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مقدَمه من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال . والنعمان قيل[3] ذى رُعين ومعافر وهمدان ؛ وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم، ومُفارقتهم الشرك وأهله.

كتاب الرسول إليهم : فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبى ، إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى النعمان ، قيل ذى رعين ومعافر وهمدان . أمابعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لاإله إلاهو ، أمابعد ، فإنه قدوقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ماأرسلتم به ، وخبرنا ماقبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم

---

(١) المصانع : القرى .
(٢) الغليل : حرارة الجوف .
(٣) القيل : ملك إقليم

خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه(١) ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار(٢) ، عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغرب(٣) نصف العشر ؛ وأن فى الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفى ثلاثين من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أوجذعة ؛ وفى كل أربعين من الغنم سائمةوحدها ، شاة. وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ؛ ومن كان على يهوديته أونصرانيته فإنه لايرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أوأنثى ، حر أوعبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر(٤) أو عوضه ثيابا ، أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أمابعد ، فإن رسول الله محمدا النبى أرسل إلى زرعة ذى يزن أن إذا إتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبدالله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ ابن جبل ، فلاينقلبن إلا راضيا .

أمابعد . فإن محمدا يشهد أن لاإله إلاالله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولاتخونوا ولاتخاذلوا ، فإن رسول الله هـــو ولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لاتحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وأن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وآمركم به خيرا ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمرك بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم . والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن أبى بكر أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذا ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يسر ولاتعسر وبشر ولاتنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يسئلونك مامفتاح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له ؛ قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن

---

(١) أصل الصفى : مايصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة .

(٢) العقار : الأرض . (٣) الغرب : الدلو .

(٤) المعافر : نوع من ثياب اليمن .

قام بما أمره به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ؛ ماحق زوج المرأة عليها؟ قال : ويحك ! إن المرأة لاتقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه مااستطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة . قال : ويحك؟ لو رجعت إليه فوجدته تنثعب [1] منخراه قيحا ودما ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ماأديت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامى ، ثم النفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله مُعان وماحولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره ومقتله : فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى محبسه ذلك :

طرقت سليمى موهنا أصحابى ... والروم بين الباب والقروان [2]
صد الخيال وساءه ماقد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكانى
لاتكحلن العين بعدى إثمدا ... سلمى ولاتدين للإتيان
ولقد علمتِ أبا كبيشة أننى ... وسط الأعزة ولا يحص لسانى [3]
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولئن بقيت لتعرفن مكانى
ولقد جمعت أجل ماجمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفراء بفلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرا فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشذبة أطرافها بالمناجل [4]

---

(١) تنثعب : تسيل .

(٢) الموهن : نحو نصف الليل أوبعد ساعة منه . قروان : مثل صفوان : حويض من خشب تسق فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفى المثل مافيها لاعى قرو : أى لاعق قرو .

(٣) لا يحص : لا يقطع .

(٤) المشذبة : التى أزيلت أغصانها .

فزعم الزهري بن شهاب ، أنهم لما قدموه ليقتلوه . قال :

بلغ سراة المسلمين بأنني ... سَلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا : يا بنى الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد : فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث ابن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن

لا إله إلا الله . وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول : فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحصين ذى الغصة[١] ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد ابن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادى ، وشداد بن عبد الله القنانى ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابى[٢] .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مِرار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا ؛ قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب من قاتلنا ؛ يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : صدقتم . وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين .

---

(١) ذو الغصة : سمى بذلك لغصة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثى . ذكره عمر بن الخطاب يوما فقال : لا تزاد امرأة فى صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة .

(٢) الضبابى من ضِباب بكسر الضاد فى بنى الحارث بن كعب بن مذحج ، وضِباب أيضاً فى قريش وهو ابن حجير بن عبد بن معيص بن عامر أخو حجر بن عبد . والضباب فى بنى عامر ابن صعصعة ، وهم ضباب ومضب وحسل وحسيل بنو معاوية بن كلاب ، وأما الضباب بالفتح ففى نسب النابغة الذبيانى ضباب بن يربوع بن غيظ ؛ وأما الضُّباب بالضم فزيد ومنجا ابنا ضُباب من بنى بكر ، ذكره الدارقطنى .

فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ؛ أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهده إليهم : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ؛ ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه وينهى الناس ، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : « ألا لعنة الله على الظالمين » ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ؛ وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ؛ وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ؛ وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدع إلى الله ؛ ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ؛ حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ؛ وأمر بالصلاة لوقتها ؛ وإتمام الركوع والسجود والخشوع ؛ ويغلس بالصبح ؛ ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة ؛ والمغرب حين يقبل الليل ؛ لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ؛ والعشاء أول الليل ؛ وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ؛ والغسل عند الرواح إليها ؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله : وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ؛ وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ؛ وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه وفى كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ؛ جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة . فمن زاد خيرا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثيابا .

فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضُّبَيْبى ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه . وفى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة الرجلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

قال ابن هشام : وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، قال : قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السَّلمانى وعميرة بن مالك الخارفىّ ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات [١] ، والعمائم العدنية ، برحال الميْس [٢] على المهْرية [٣] والأرحبية [٤] ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

همدان خير سوقة وأقيـــال ليس لها فى العالمين أمثال [٥]
محلهـــا الهضب ومنها الأبطـال لها إطابات بهـــا وآكال [٦]

---

(١) المقطعات : المخيطة . الحبرات : برود يمنية .
(٢) الميس : خشب متين تصنع منه الرحال .
(٣) المهرية : إبل نجيبة تنسب إلى مهرة قبيلة باليمن .
(٤) الأرحبية : تنسب إلى أرحب : مكان .
(٥) السوقة : الشعب . والأقيال : رؤساء الأقاليم .
(٦) الإطابات : ما طاب من الأموال . والآكال : ما يأخذه الملك من الشعب كالضرائب

ويقول الآخر :

إليك جاوزن ســواد الريف في هبوات الصيف والخريف[١]

مخطمات بحبــال الليف

فقام مالك بن نمط بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نصية [٢] من همدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج [٣] ، متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر[٤] أهل السود والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الإلهات الأنصاب ، وعهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع ، وما جرى اليعفور بصلع[٥] .

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل ، مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ، ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فراعها ووهاطها[٦] ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها[٧] ، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نمط :

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى ونحن بأعلى رحرحان وصلدد[٨]
وهن بنا خوص طلائح تغتــلى بركبانها فى لاحب متمدد[٩]
على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا مر الهجف الخفيدد[١٠]

---

(١) السواد : القرى . الهبوات : الغبار . (٢) النصية : خيار القوم .
(٣) القلص : الإبل الشابة . نواج : مسرعة .
(٤) المخلاف المدينة ، وما بعدها أسماء قبائل .
(٥) لعلع : مجموعة من الجبال . اليعفور ولد الظبية . صلع : مكان .
(٦) فراعها . أعاليها . وهاطها : أسافلها .
(٧) العلاف : ثمر الطلح . عافيها : ماكثر من نباتها .
(٨) رحرحان وصلدد : موضعان .
(٩) الخوص : غائرات العيون . طلائح متعبة . تغتلى : تنشط فى سيرها . اللاحب : الطريق الواضح .
(١٠) الجسرة : الناقة القوية على السير . الهجف : ذكر النعام القوى وكذلك الخفيدد .

حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد(١)
بأن رســول الله فينا مصــدق ... رسول أتى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلهـا ... أشد على أعــدائه من محمــد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى بحد المشرفى المهنــد

ذكر الكذابين: مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مسيلمة ابن حبيب باليمامة فى بنى حنيفة، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء.

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبى سعيد الخدرى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إنى قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت فى ذراعىّ سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة.

الرسول يتحدث عن الدجالين: قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا، كلهم يدعى النبوة.

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان؛ فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسى وهو بها، وبعث زياد بن لبيد، أخا بنى بياضة الأنصارى، إلى حضرموت وعلى صدقاتها؛ وبعث عدى بن حاتم على طيىء وصدقاتها، وعلى بنى أسد؛ وبعث مالك بن نويرة — قال ابن هشام: اليربوعى — على صدقات بنى حنظلة، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين، وبعث علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم.

(١) الراقصات: الإبل الراقصات، والرقص: ضرب من السير. الصوادر: الرواجع. والقردد: الأرض المرتفعة.

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مسيلمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإنى قد أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عشر .

حجة الوداع

تجهز الرسول : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

استعماله على المدينة أبا دجانة : قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ويقال : سباع بن عرفطة الغفارى .

حكم الحائض فى الحج : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى ، وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمرة

إلامن ساق الهدى ؛ قالت : وحضت ذلك اليوم ، فدخل على وأنا أبكى ؛ فقال : مالك ياعائشة؟ لعلك نفست ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا السفر ؛ فقال لاتقولن ذلك ، فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فحل كل من كان لاهدى معه ، وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير ، فطرح فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصبة ، بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحللن بعمرة ، قلن : فما يمنعك يارسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : إنى أهديت ولبدت [1] ، فلا أحل حتى أنحر هديى .

موافاة على فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليا رضى الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يابنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة فحللنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ؟ قال : يارسول الله إنى أهللتُ كما أهللتَ ؛ فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ؛ قال : يارسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن الرحمن بن أبى عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل على رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ؛ قال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوته

(١) جعل فى رأسه صلى الله عليه وسلم صمغاً لئلا يتشعث .

القوم ليتجملوا به إذ قدموا فى الناس ؛ قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها فى البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حزم بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد ابن كعب بن عُجرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لاتشكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يُشكى .

خطبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بيَّن فيها مابين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لاتَظلمون ولاتُظلمون قضى الله أنه لاربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس: إن النسىء زيادة فى الكفر ، يضَل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ماحرم الله ، فيحلوا ماحرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر (١) ، الذى بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا ؛ ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين

---

(١) رجب مضر ، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجباً من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لارجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح(١) ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان (٢) لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فإنى قد بلغت ، وقد تركت فيكما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذُكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلا تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ، ثم يقول : قل يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ، قال : ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى ، عن عمرو ابن خارجة قال : بعثنى عتَّاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لغامها (٣) ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله أدى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه

---

(١) غير مبرح : غير شديد .

(٢) عوان : أسيرات ، مفردها : عانية .

(٣) اللغام : الرغوة التى تخرج من فم الناقة .

أوتولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفا ولاعدلا.

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذى هو عليه وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح (١)صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وماحرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها .

بعث اسامة بن زيد إلى ارض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب(٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صد عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمة وكافة ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسَلِم ، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها .

---

(١) قزح : جبل بالمزدلفة .

(٢) أوعب : اجتمع .

أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندى الأزديين ، ملكي عمان ، وبعث سليط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك تخوم الشام.

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سليطا وثمامة وهوذة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة ، فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل مادعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم ، وأما من بعد به فكرهه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم .

أسماء رسل عيسى : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم في الأرض : بطرس الحواري ، ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين إلى رومية ، وأندرائس ومنتا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة وهي إفريقية ، ويحنس ، إلى أفسوس ، قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورشليم وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر ، ويهوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جعل مكان يودس .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد ابن إسحاق المطلبى : وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بُواط ، من ناحية رضوى ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ؛ يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة ، ثم غزوة بنى لحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ؛ وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرّار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدة ، وغزوة محمد بن مَسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مَرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا القَصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر ، وغزوة على بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب ليث ، الكديد ، فأصاب بنى الملوّح .

غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح : وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهنى ، عن المنذر ، عن جندب بن مكيث الجهنى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب بن عوف بن ليث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوح ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثى ، فأخذناه ، فقال: إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلنا له : إن تك مسلما فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رباطا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك(١) فاحتز رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى ربيئة(٢) لهم ، فخرجت حتى آتى تلا مشرفا على الحاضر(٣) ، فأسندت فيه(٤) ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التل سوادا مارأيته فى أول يومى ، فانظرى إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئا ، لاتكون الكلاب جرت بعضها ؛ قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ماأفقد شيئا : قال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهما ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه ، فأضعه ، وثبت مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه فى منكبى ، فأنزعه فأضعه ، وثبت مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهماى لا أبا لك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لايمضغهما على الكلاب . قال : ثم دخل .

قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السحر ، شننا عليهم الغارة ، قال : فقتلنا ، واستقنا النعم ، وخرج صريخ القوم ، فجاءنا دهم(٥) لاقبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا : قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من

---

(١) عازك : غالبك .
(٢) الربيئة : الطليعة الذى يتجسس الأخبار .
(٣) الحاضر : من ينزلون على الماء .　　(٤) أسندت : ارتفعت .
(٥) الدهم : الجماعة الكثيرة .

غير سحابة نراها ، لا مطر ، لجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحـــدوها سراعا ، حتى فُتناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أمِت أمِت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها :

أبى أبو القاسم أن تعزّبى في خضل نباته مغلوب(٢)

صفر أعاليه كلون المذْهب

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذهب » .

تم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث .

تعريف ببعض الغزوات : قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبدالله بن سعد من أهل فدك ؛ وغزوة أبى العوجاء السلمى أرض بنى سليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عكاشة بن محصن الغَمْرة ؛ وغزوة أبى سلمة بن عبد الأسد قطنا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قتل بها مسعود بن عروة ؛ وغزوة محمد بن مسلمة ، أخى بنى حارثة ، القرطاء من هوازن ؛ وغزوة بشير بن سعد بنى مرة بفدك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ، من أرض خُشين.

قال ابن هشام : عن نفســـه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِسمَى.

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام : قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامى ، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دحية ابن خليفة الكلبى من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه

---

(٢) تعزبى : تغيبى فى المرعى . الخضل : الأخضر المبتل . المغلوب : الكثير .

ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شنار ، أغار على دحية بن خليفة الهنيد ابن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان . والضليع : بطن من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضبيب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضبيب النعمان بن أبى جعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاوى ثم الضلعى ، فقال : أنا ابن لبنى ، ورمى النعمان بن أبى جعال بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لبنى ، وكانت له أم تدعى لبنى ، وقد كان حسان بن ملة الضبيبى قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قرة بن أشقر الضفارى ، وحيان بن ملة .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوة زيد جذام ، وبعث معه جيشا ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرة ؛ حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة ، لم يعلم ومعه ناس من بنى الضبيب ، وسائر بنى الضبيب بوادى مدان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قبل الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بنى الأجنف .

قال ابن هشام : من بنى الأحنف .

قال ابن إسحاق فى حديثه : ورجلا من بنى الخصيب . فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان بن ملة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها العجاجة ، وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال لها : رغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال له لها شمر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة : كف عنا وانصرف ، فإنا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب ، فقال : لأنا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأمنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد

أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بورى أو ثورى ؛ فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان : إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : بورى ، فقال حسان : مهلا . فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد فاقرءوا أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجيش أن الله قد حرم علينا ثغرة(١) القوم التى جاءوا منها إلا من ختر(٢) .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهى امرأة أبى وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب فى الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقويه(٣) فقالت أم الفزر الضلعية : أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخصيب : إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقويه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ، فرجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ؛ فأمسوا فى أهليهم ، واستعتموا ذودا(٤) لسويد ابن زيد ، فلما شربوا عتمتهم(٥) ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة : أبو زيد بن عمر ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع ابن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومُخَرِّبة بن عدى ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا سحرا رفاعة بن زيد بكراع ربة ، بظهر الحرة ، على بئر هنالك من حرة ليلى ، فقال له حسان بن ملة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة ابن زيد بجمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هل أنت حىٌّ أو تنادى حيا

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضفارة أخى الخصيبى المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تنيخوا إبلكم ، فتقطع أيديهن ، فنزلوا عنهن وهن قيام ، فلما دخلوا على

---

(١) الثغرة : ما يحمونه من جانبهم . (٢) ختر : نقض العهد .

(٣) حقويه : خصريه . (٤) استعتموا : انتظروا إلى العتمة . الذود : جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٥) عتمتهم : لبنهم الذى يشربونه فى العتمة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألاح[1] إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق ، قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة، فرددها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يحذنا[2] في يومه هذا إلا خيرا . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديما كتابُه ، حديثا غدره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، وأعلن ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى ؟ — ثلاث مرات — . فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم ، لا نحرم عليك حلالا ، ولا نحلل لك حراما ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا على ، فقال له على رضى الله عنه : إن زيدا لن يطيعنى يا رسول الله ، قال : خذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال على : ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة ابن عمرو ، يقال له مكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبر ، يقال لها : الشمِّر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا على ، ما شأنى ؟ فقال : مالهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين ، فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كانوا ينزعون لبيد المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم :

وعاذلة ولم تعــذل بطِيب ولولا نحن حُش بهـا السعير[3]
تدافع فى الأسارى بابنتيها ولا يرجى لهـا عتق يسير
ولو وكلت إلى عُوص وأوْس لحار بهـا عن العتق الأمور[4]
ولو شهــدت ركائبنا بمصر تحاذر أن يعل بها المسير[5]
وردنا ماء يثرب عن حفاظ لربع إنه قرب ضرير[6]
بكل مجرب كالسيد نهد على أقتاد ناجية صبور[7]

(١) ألاح : أشار . (٢) لم يحذنا : لم يعطنا .
(٣) بطب : برفق . (٤) حار : رجع .
(٥) يعل : يكرر . (٦) الربع : ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام . القرب : السير فى طلب الماء . ضرير : مضر .
(٧) السيد : الذئب . النهد : الغليظ . أقتاد : أدوات الرحل . الناجية : أى ناقة صبور .

فدى لأبى سليمى كل جيش　　بيثرب إذ تناطحت النحور
غـداة ترى المجرّب مستكينا　　خلاف القوم هامته تدور

قال ابن هشام : قوله : « ولا يرجى لها عتق يسير » . وقوله : « عن العتق الأمور » عن غير ابن إسحاق .

تمت الغزاة ، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث .

غزوة زيد الطرف : قال ابن اسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة : وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادى القرى ؛ لقى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتث[1] زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مَداش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هذيم .

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة ، فلما استبل من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحر اليعمرى مسعدة بن حكمة بن مالك ابن حذيفه بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلا عنيفا ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وبابن مسعدة .

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قرفة مازدت » . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فاهداها لخاله حزن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

فقال قيس بن المسحر فى قتل مسعدة :

سعيت بورد مثـــل سعى ابن أمه　　وإنى بورد فى الحياة لثائر[2]

---

(١) ارتث : حمل جريحا من المعركة وبه رمق .　　(٢) الثائر : الآخذ بثأره .

كررت عليه المهر لما رأيته على بطل من آل بدر مغاور
فركبت فيه قعضبيا كأنه شهاب بمراة يذكى لناظر[١]

غزوة عبدالله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام: وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين: إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام. قال ابن هشام: ويقال بن رازم.

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن أنيس، حليف بنى سلمة؛ فلما قدموا عليه كلموه، وقربوا له، وقالوا له: إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك، فلم يزالوا به، حتى خرج معهم فى نفر من يهود، فحمله عبدالله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر، على ستة أميال، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففطن به عبدالله ابن أنيس، وهو يريد السيف، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بمخرش[٢] فى يده من شوحط[٣]، فأمه[٤] ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه، فلما قدم عبد الله ابن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته، فلم تقح ولم تؤذه.

غزوة ابن عتيك خيبر: وغزوة عبدالله بن عتيك خيبر، فأصاب بها أبارافع بن أبى الحقيق.

غزوة عبدالله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى: وغزوة عبدالله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بعرنة، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه، فقتله.

---

(١) قعضبيا: سنانا منسوب إلى قعضب، رجل كان يصنعها. ميراة: مكان لا يستره شىء. يذكى: يشعل.

(٢) المخرش: عصا معقوفة. (٣) الشوحط: نوع من الشجر.

(٤) أمه: أصاب أم رأسه.

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبدالله بن أنيس : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغنى أن ابن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة ، أو بعرنة ، فأته فاقتله . قلت : يارسول الله ، انعته لى حتى أعرفه . قال إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت متوشحا سيفى ، حتى دفعت إليه وهو فى ظعن[1] يرتاد لهن منزلا ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه ، أومىء برأسى ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إنى لفى ذلك . قال : فمشيت معه شيئا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه منكبات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يارسول الله . قال : صدقت .

ثم قام بى ، فادخلنى بيته ، فأعطانى عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك ياعبدالله بن أنيس . قال: فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك؟ قال ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت : يارسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخصرون[2] يومئذ ، قال : فقرنها عبدالله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه، ثم دفنا جميعا .

قال ابن هشام : وقال عبدالله بن أنيس فى ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله ... نوائح تفرى كل جيب مقدد[3]
تناولته والظعن خلفى وخلفه ... بأبيض من ماء الحديد مهند[4]

---

(١) الظعن : النساء فى الهوادج .
(٢) المتخصرون : المتكئون على المخاصر . والمخاصر . مفردها مخصرة العصا .
(٣) الحوار : ولد الناقة . تفرى : تقطع .
(٤) الظعن : الهوادج ، فيها النساء .

عجوم لهام الدارعين كأنه ... شهاب غضى من ملهب متوقد(١)
أقول له والسيف يعجم رأسه ... أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد(٢)
أنا ابن الذى لم ينزل الدهر قدره ... رحيب فناء الدار غير مزند(٣)
وقلت له خذها بضربة ماجد ... حنيف على دين النبى محمد
وكنت إذا هم النبى بكافر ... سبقت إليه باللسان وباليد

تمت الغزاة ، وعدنا إلى خبر البعوث .

بعض غزوات أخر : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبدالله بن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عمير الغفارى ذات أطلاح ، إلى أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى تميم: وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ، وسبى منهم أناسا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن علىّ رقبة من ولد إسماعيل . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن ، فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه .

قال ابن إسحاق . فلما قُدم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن رفيع ، وسبرة بن عمرو والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفَراس بن حابس ؛ فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ؛ فأعتق بعضا ، وأفدى بعضا ، وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر : عبدالله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد ابن فراس ، وحنظلة بن دارم ، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرىّ ، ونجوة بنت نهد ، وجُميعة بنت قيس ، وعَمرة بنت مطر . فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عتّاب :

---

(١) عجوم : عضوض : الغضى : شجر سريع الالتهاب .
(٢) غير قعدد : غير لئيم .
(٣) المزند : البخيل .

لعمرى لقد لاقت عدى بن جندب ... من الشر مهواة شديداً كئودها[١]
تكنفها الأعداء من كل جانب ... وغيب عنها عزها وجدودها[٢]

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك :

وعند رسول الله قام ابن حابس ... بخطة سوار إلى المجد حازم[٣]
له أطلق الأسرى التى فى حباله ... مغللة أعناقها فى الشكائم
كفى أمهات الخالفين عليهم ... غلاء المفادى أو سهام المقاسم[٤]

وهذه الأبيات فى قصيدة له . وعدى بن جندب من بنى العنبر ، والعنبر ابن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبدالله أرض بنى مرة : قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبدالله الكلبى كلب ليث ـ أرض بنى مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفاً لهم من الحُرقة ، من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرَقة ، فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال . أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح ، قال أشهد أن لا إله إلا الله . قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال : يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعوذاً بها من القتل . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها علىّ حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ، قال: تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأة من بلى ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ،

---

(١) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين . الكئود : الصعبة .
(٢) الجدود : الحظوظ .   (٣) الخطة : الخصلة . السوار : الوثاب .
(٤) الخالفين : المتخلفين .

فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أباعبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لاتختلفا ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو إنما جئت مددا لى ؛ قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ماأنا عليه ، وأنت على ماأنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ؛ فقال أبو عبيدة ياعمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لاتختلفا ، وإنك إن عصيتنى أطعتك ؛ قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مدد لى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرءاً نصرانيا ، وسُميت سرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبا ، قال : فصحبت أبابكر ، قال : فكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدكية ، فكان إذا أنزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : ياأبابكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال آمرك أن توحد الله ولاتشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولاتتأمر على رجل من المسلمين أبدا . قال : قلت : ياأبابكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لايشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عوّاذ الله وجيرانه ، وفى ذمته فإياك لاتخفر الله (١) فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرته ، فإن أحدكم

(١) لاتخفر الله : لا تنقض عهده .

يخفر فى جاره ، فيظل ناتئا عضله غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضبا لجاره .
قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ؛ قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدا ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة .

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يعضوها (١) ، وقال : وكنت امرأ لبقا جازرا ، قال ؛ فقلت : أتعطونى منها عشيرا (٢) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكانى ، وأخذت منها جزءا ، فحملته إلى أصحابى ، فاطبخناه فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ؛ قال فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت نعم ، بأبى أنت وأمى ؛ قال : أصاحب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئا .

غزوة ابن أبى حدود بطن إضم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعى : قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم فى نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعى ، ومحلم بن جثّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى ، على قعود له ومعه متيع (٣) له ، ووطب من لبن (٤) . قال : فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ،

---

(١) يعضوها : يقتسموها أجزاء . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء .
(٣) المتيع : تصغير متاع . (٤) الوطب : وعاء اللبن .

وأخذ بعيره ، وأخذ متيعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلم لستَ مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا » . . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا » لهذا الحديث .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر بن أضبط الأشجعى : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة ، لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول : والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذا قام رجل من بنى ليث ، يقال له : مُكيثر ، قصير مجموع — قال ابن هشام : مكيتل — فقال : والله يارسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غرة الإسلام [1] إلا كغنم وردت فرميت أولاها ، فنفرت أخراها ، اُسنن اليوم ، وغيِّر غدا قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال فقبلوا الدية . قال ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقام رجل آدم [2] ضرب [3] طويل ، عليه حلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ، حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلم بن جثّامة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثا . فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

---

(١) غرة الإسلام : أوله .
(٢) الآدم : الأسمر . (٣) ضرب : خفيف اللحم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أمنته بالله ثم قتلته ! ؟ ثم قال له المقالة التى قال . قال : فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات ، فلفظته ـ والذى نفس الحسن بيده ـ الأرض ثم عادوا له فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين [1] فسطحوه بينهما ، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه . قال . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه .

قال ابن إسحاق . وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حُدث : أن عيينة بن حصن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يا معشر قيس ، منعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنعن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم ، لقتل صاحبكم كافرا ؟ ما صلى قط ، فلأطلن دمه [2] فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محلم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم بن جثامة بن قيس الليثى .

وقال ابن إسحاق : ملجم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمى الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم ، عن ابن أبى حدرد ، قال : تزوجت امرأة من قومى ؟ وأصدقتها مائتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله وسلم أستعينه على نكاحى ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتى درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم . والله ماعندى ما أعينك به : قال : فلبثت أياما ، وأقبل رجل من بنى جشم ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن عظيم من بنى جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صدين : جبلين .
(٢) أطلن دمه : أجعل دمه باطلا فلا يؤخذ بثأره .

وكان ذا اسم فى جشم وشرف . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال: أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفا(١) عجفاء لحمل علىها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ثم قال : تبلغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عشيشية (٢) مع غروب الشمس . قال : كمنت فى ناحية ، وأمرت صاحبى ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى . قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة (٣) القوم ، أو أن نصيب منهم شيئا . قال : وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى هذا البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ؛ فقال له نفر ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك، قال : والله لايتبعنى أحد منكم. قال : وخرج حتى يمر بى . قال : فلما أمكننى نفحته بسهمى ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت فى ناحية العسكر ، وكبرت ، وشد صاحباى وكبرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خف معهم من أموالهم . قال : واستقنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صداق ، فجمعتُ إلىَّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ،

---

(١) الشارف : الناقة المسنة .

(٢) عشيشية : تصغير عشية على غير القياس .

(٣) الغرة : الغفلة .

وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدرى ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يارسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ؛ قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامعشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم-وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين [١] وشدة المؤنة وجور السلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا ؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس [٢] سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عممه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوا من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى . وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يابن عوف ، اغزوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلوا [٣] ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم . فأخذ عبد الرحمن ابن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر [٤] : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم جرابا من تمر ، فجعل يقوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعده عليهم عددا ، قال : ثم نفد التمر حتى كان يعطى كل

---

(١) السنين : الجدب . (٢) الكرابيس : الأقطان . واحده كرباس .
(٣) لا تغلوا : لا تخونوا فى المغنم . (٤) سيف البحر : جانبه وساحله .

رجل منهم كل يوم تمرة . قال : فقسمها يوما بيننا . قال : قال فنقصت تمرة عن رجل ، فوجدنا فقدها ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصبنا من لحمها وودكها [١] ، وأقنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا [٢] ، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا ، قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه : قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق [٣] من بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعثه عمرو بن أمية الضمرى ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدى وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبار بن صخر الأنصارى فخرجا حتى قدما مكة ، وحبسا جمليهما بشعب [٤] من شعاب يأجج [٥] ، ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جبار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم ؛ فقال : كلا ، إن شاء الله ؛ فقال عمرو : فطفنا بالبيت ، وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال عمرو بن أمية : والله إن قدمها إلا لشر ؛ فقلت لصاحبى : النجاء ، فخرجنا نشتد ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا ،

---

(١) الودك : الشحم. (٢) ابتللنا : أخذنا الراحة .

(٣) يقول السهيلى فى الروض الأنف ج ٤ ص ٢٥٣ وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان ابن العاصى رحمه الله فى هذا الموضع قال : نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ماهذا نصه : وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق ، والقائل فى الحاشية: وجدت بخط أخى هو : أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبى مرة . إلى ها هنا انتهى سماعى من أخى ، وما بقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

(٤) الشعب : الطريق بين جبلين . (٥) يأجج : جبل بمكة .

فدخلنا كهفا فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا ؛ فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ، ويخلى عليها [1] ، فغشينا ونحن فى الغار . فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأخذنا فقتلنا .

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فات مكانه ، ولم يدلل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسينا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدى ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شد عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النجاء النجاء ، حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه ، فإنى سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لارجلة له [2]

قال : ومضيت حتى أخرج على ضجنان ، ثم أويت إلى جبل ، فأدخل كهفا ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل علىّ شيخ من بنى الديل أعور ، فى غنيمة له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر . فقلت : مرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولست بمسلم مادمت حيـــا ولا دانٍ لدين المســـلمينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذت قوسى ، فجعلت سيتها [3] فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النجاء ، حتى جئت العرج [4] ، ثم سلكت ركوبه [5] ، حتى إذا هبطت النقيع [6] ، إذا رجـــلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، وأستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقدمت به المدينة .

---

(١) يخلى : يجمع الخلى . وهو ما ينبته الربيع .
(٢) لا رجلة له : ضعيف المشى على رجليه .
(٣) سيتها : طرفها .   (٤) العرج : واد بالحجاز .
(٥) ركوبة : ثنية بين الحرمين .   (٦) النقيع : موضع ببلاد مزينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن على عليهم رضوان الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سبيا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جماع من الناس ، فبيعوا ، ففرق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك : قال ابن إسحاق ، وغزوة سالم بن عمير لقتل أبى عفك ، أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيده ، وكان قد نجم[1] نفاقه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشت دهراً وما إن أرى ... من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهوداً وأوفى لمن ... يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قيلة فى جمعهم ... يهد الجبال ولم يخضعا[2]
فصدعهم راكب جاءهم ... حلال حرام لشتى معا[3]
فلو أن بالعز صدقتم ... أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ؟ فقالت أمامة المزيرية فى ذلك :

تكذب دين الله والمرء أحمدا ... لعمر الذى أمناك أن بئس ما يمنى[4]
حباك حنيف آخر الليل طعنة ... أبا عفك خذها على كبر السن

---

(١) نجم : وضح .
(٢) قيلة : أم الأوس والخزرج .
(٣) صدعهم : فرقهم .
(٤) أمناك : أنساك .

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان ، وهى من بنى أمية بن زيد ، فلما قتل أبو عفك نافقت ، فذكر عبد الله ابن الحارث بن الفضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خطمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت ، تعيب الإسلام وأهله :

باستِ بنى مالك والنبيت وعوف وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوىَّ من غيركم فلا من مراد ولا مذحج(١)
ترجُّونه بعد قتل الرءوس كما يرتجى مرق المنضَج
ألا أنف يبتغى غرة فيقطع من أمل المرتجِى(٢)

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بنو وائل وبنو واقف وخطمة دون بنى الخزرج
متى ما دعت سفها ويحها بعولتها والمنايا تجى
فهزت فتى ماجداً عرقه كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ء بعد الهدو فلم يحرج(٣)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخذ لى من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمى ، وهو عنده ؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد قتلتها . فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لاينتطح فيها عنزان .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم(٤) فى شأن بنت مروان ، ولما

(١) الأتاوى : الغريب .
(٢) الأنف : المترفع . الغرة : الغفلة .
(٣) الهدو : منتصف الليل : أو بعد ساعة منه . يحرج : يأثم .
(٤) موجهم : اختلاطهم واختلافهم .

يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا بنى خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لا تُنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام فى دار بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه : بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؛ هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا إساره . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلقحته[١] أن يغدى عليه بها ويراح ؛ فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إيها[٢] يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ماشئت ، فمكث ماشاء الله أن يمكث ؛ ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر ، وأكل آخر النهار فى معى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معى واحد[٣] .

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج معتمرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لبى ، فكان أول من دخل مكة يلبى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ، فخلوه ، فقال الحنفى فى ذلك :

ومنا الذى لبى بمكة معلنا برغم أبى سفيان فى الأشهر الحرم

وحدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلىّ ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إلى ؛ وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

---

(١) اللقحة : الناقة التى لها لبن .
(٢) إيها : حسبك .
(٣) انظر مافى هذا الحديث من البلاغة ، فى كتاب المجازات النبوية بتحقيقنا . ط الحلبى .

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت يا ثمام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتبعت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل .

سرية علقمة بن مجزز : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مُجزز .

لما قُتل وقاص بن مجزز المدلجى يوم ذى قرد ، سأل علقمة بن مجزز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز — قال أبو سعيد الخدرى : وأنا فيهم — حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز[1] ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا : حدثنى بعض أهل العلم ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كبة

---

(١) يحتجز : يشد ثوبه على خصره .

من بجيلة ، فاستوبئوا ، وطحلوا[1] ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عدوا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار ، فذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كرز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذى قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن : وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن، غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد فى جند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير على بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين وهو آخر البعوث : قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم ، من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتُدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدىء به من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ،

---

(١) استوبئوا : أصيبوا بالأوبئة . طحلوا : أصيبوا بداء الطحال .

من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتـــدىء بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن عمر ، عن عُبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مويهبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم ياأهل المقابر ، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل على ، فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ؛ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلى ، فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك، لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعت إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به[1] ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى ، فأذِنّ له .

ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكن تسعا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس،

---

(١) استعز به : غلبه .

وزينب بنت جحش بن رئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن ، وجويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار ، وصفية بنت حُيَيّ بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم.

خديجة : وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهى أول من تزوج ، زوجه إياها أبوها خُويلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكْرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت اقبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صيفى بن أبى رفاعة .

عائشة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

سودة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، زوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل .

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » .

أم سلمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند ؛ زوجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفة ، ومجشة[1] ؛ وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

حفصة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند خُنيس بن حذافة السهمى .

أم حبيبة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رملة بنت أبى سفيان ابن حرب ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

جويرية بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس ابن الشماس الأنصارى ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها . فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ،

---

(١) المجشة : الرحى .

أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

صفية بنت حيي : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيى بن أخطب ، سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، مافيها شحم ولالحم ، كان سويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .

ميمونة بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هُزَم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى ؛ ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خطبة النبى صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله : فأنزل الله تبارك وتعالى : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى » .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سامة بن لؤى ، فأرجأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زينب بنت خزيمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ؛ لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسول الله صلى

الله عليه وسلم أربعمائة درهم . وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتى بنى بهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها [١] وردها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ، فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نؤتى ولا نأتى ؛ فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

القرشيات منهن : القرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وحفصه بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

العربيات وغيرهن : والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بجير بن هُزَم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت

---

(١) متعها : أعطاها ما تتمتع به .

الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ، وعمرة بنت يزيد الكلابية .

ومن غير العربيات : صفية بنت حي بن أخطب ، من بنى النضير[١]

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس . ورجل آخر ، عاصبا رأسه ، تخط قدماه حتى دخل بيتى .

قال عبيد ، فحدث هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر قال : قلت : لا ؟ قال : على بن أبى طالب .

اشتداد المرض : ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال هريقوا على سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت : فأقعدناه فى مخضب[٢] لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

خطبة للنبى وتفضيله أبا بكر : قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب بن بشير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبى ، وذكرها غيره ، ولم تقم عنده إلا يسيراً حتى ماتت ، وكذلك العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ، ذكرها غيره فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وسنى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت . ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية ، اتفقوا على تزويج النبى صلى الله عليه وسلم إياها ، واختلفوا فى سبب فراق النبى صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها ، والله أعلم .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة[1] فى المسجد ، فسدوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه .

قال ابن هشام . ويروى : إلا باب أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمره بإنفاذ بعث أسامة : وقال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة ابن زيد ، وهو فى وجعه ، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة : أمّر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش[2] الناس فى جهازهم ، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتام إليه الناس ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصايته بالأنصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وأنهم كانوا عيبتى[3] التى أويت إليها ، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم .

---

(١) اللافظة : النافذة . (٢) انكمش الناس فى جهازهم : أسرعوا فيه .

(٣) عيبة الرجل : مكمن سره .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتام به وجعه ، حتى غُمِر .

اللدود (١) : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدوه ،وقال العباس: لألدنه . قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من صنع هذا بى ؟ قالوا: يارسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفنى به ، لا يبق فى البيت أحد إلا لد إلا عمى ، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

دعاؤه لأسامة بالاشارة : قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىّ ، فأعرف أنه يدعو لى .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عُبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره ، قالت : فلما حُضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى (٢) من الجنة ، قالت : فقلت : إذاً والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير .

---

(١) اللدود : مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يجعل فى جانب الفم فى داخله ويحك بالأصبع قليلا.

(٢) اللهم الرفيق الأعلى : وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » إلى قوله سبحانه : « وحسن أولئك رفيقاً » فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء لأن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ، وهى تتضمن معنى التوحيد الذى يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، فإنه قال : « مع الذين أنعم الله عليهم » وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ثم بين فى الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيق =

أبو بكر يصلي بالناس : قال الزهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما استعزبرسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يانبى الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولى ، فقال : إنكن صواحب يوسف ، فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر وعرفت أن الناس لايحبون رجلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب: حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استُعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلى بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس . وكان أبو بكر غائبا ؛ فقلت: قم ياعمر فصل بالناس قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مجهراً ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون : قال : فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس . قال : قال عبد الله بن زمعة . قال لى عمر: ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس . قال : قلت والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

= الأعلى الذين ذكرهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين خُيّر فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة فى هذا الحديث . فأشار بأصبعه ، وقال . فى الرفيق ، وفى رواية أخرى أنه قال اللهم الرفيق ، وأشار بالسبابة ، يريد التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارة فى عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولا شك أنه عليه السلام فى أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل . لم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله . وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترجع عند حليمة أن قال : الله أكبر قاله الواقدى .

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين ، وفى قوله . ملكت أيمانكم قولان . قيل : أراد الرفق بالمملوك ، وقيل : أراد الزكاة ، لأنها فى القرآن مقرونة بالصلاة ، وهى من ملك اليمين ، قاله الخطابى .

اليوم الذى قبض الله فيه رسوله

صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك . أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنُح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى ، فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا، وكان عمر غير متهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاه ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلمهم رافعا صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تمسكون علىّ بشىء ؛ إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ؛ ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبى الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ؛ ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح .

شأن على والعباس قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب ابن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أصبح بحمد الله بارئا ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال: ياعلى ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ؛ فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال فقال له على إنى والله لا أفعل ؛ والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبل وفاته : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل على رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده قالت : فقلت : يارسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ، ثم أعطيته إياه : قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه [1] ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة: قالت : فقلت : خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق . قالت : وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وفى دولتى، لم أظلم فيه أحدا

---

(١) فيه من الفقه : التنظف والتطهر للموت ، ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم حينما أراد المشركون قتله وقصته موجودة فيما سبق من السيرة — لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلى مناج لربه ؛ فالنظافة من شأنهما. وكان السواك المذكور فى هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم، والعرب تستاك بالعسيب ، وكان أحب السواك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صرع الأراك .

فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتدم (١) مع النساء ، وأضرب وجهي .

مقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهري ، وحدثني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

شأن أبي بكر بعد وفاته : قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى في ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا . قال : ثم رد البرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك ياعمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لاينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت . قال : ثم تلا هذه الآية : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم ؛ وقال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت (٢) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

---

(١) ألتدم : أضرب صدري .
(٢) عقرت : دهشت فلم أستطع التقدم أو التأخر .

أمر سقيفة بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ؛ فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت ، قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

عمر يذكر البيعة لأبى بكر : قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلا ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب ،

فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكر علىّ سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على ؛ إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلمناها ووعيناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم » إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرن امرءاً أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى أخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم ألا تقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة[1] من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت

---

(١) الدافة : الجماعة من الناس تأتى من بلد إلى بلد .

أردت أن أتكلم ، وقد زورت (١) فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد (٢) ، فقال أبو بكر : علىّ رِسلك ياعمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئا مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جذيلها (٣) المحكك وعذيقها المرجب (٤) ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا (٤) على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قال فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدى ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة . وأما معن بن عدى ، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عدى : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب .

---

(١) زورت : أعددت . (٢) الحد : الحدة التى كان يتصف بها عمر .

(٣) الجذيل : تصغير جذل : عود من الحطب فى مبرك الإبل تحتك به فتستريح .

(٤) العذيق : تصغير عذق النخلة : والمرجب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله

(٥) نزونا : وثبنا .

خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، قال : حدثني أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: أيها الناس ، إني كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبي بكر بعد البيعة : فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوموني ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، : قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ، وما معه غيري ، قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشي(١) قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إليّ ، فقال : يابن عباس هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال فإنه والله ، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ، فوالله ، إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

---

(١) وحشي : خارج .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسله : قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن على بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثَم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولوا غسله ، وأن أوس بن خولى ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلى بن أبى طالب : أنشدك الله ياعلى وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حياً وميتا . ولم يُر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يرى من الميت .

كيفية غسله : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندرى ، أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى مامنهم رجل إلا ذقنه فى صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو : أن اغسلوا النبى وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تكفينه : قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صحاريين [1] وبرد حبرة ، أدرج فيها إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده على بن الحسين والزهرى ، عن على بن الحسين .

القبر : قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

---

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار . مدينة باليمن .

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح (١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خِرْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الصلاة عليه ودفنه : فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائل : ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماقبض نبى إلا دفن حيث يقبض : فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها : جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفنه : وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهداً به : وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ،

---

(٢) يضرح : يشق الأرض ليجعلها ضريحا .

وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مقسم أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسُكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة ابن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ؛ قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن عباس .

خميصة الرسول السوداء : قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موته : قال ابن إسحاق : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد [1] ، فتوارى فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

(١) كان عتاب والى مكة .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى عسى أن يقوم مقاما لا تذمه .

حسان بن ثابت يرثى الرسول : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد(1)
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى معالم ... ورَبع له فيه مُصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبراً بها واراه فى الترب ملحد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تُسعد(2)
يذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها مُحصيا نفسى فنفسى تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تعدد(3)
وما بلغت من كل أمر عشيره ... ولكن لنفسى بعدُ ما قد توجّد(4)
أطالت وقوفا تذرف العين جُهدها ... على طلل القبر الذى فيه أحمد
فبوركت ياقبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضد(5)
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة ... عشية علوْه الثرى لا يوسّد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

---

(1) الرسم : ما بقى من آثار الديار . تعفو : تدرس ، تهمد : تبلى .

(2) أسعدت : أعانت .

(3) شفها : أضعفها . (4) عشيره : عشره . توجد : من الوجد وهو الحزن .

(5) الصفيح : الحجارة . منضد : بعضه فوق بعض .

يبكون من تبكى السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد ؟!
تقطع فيه منزل الوحى عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد[١]
يدل على الرحمن من يقتدى به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا ... معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم فى نعمة الله بينهم ... دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لايثنى جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد[٢]
فبينا هم فى ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مُقصد[٣]
فأصبح محموداً إلى الله راجعا ... يبكيه حتى المرسلات ويحمد[٤]
وأمست بلاد الحرم وَحشا بقاعها ... لغيبة ماكانت من الوحى تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكينه بلاط وغرقد[٥]
ومسجده فالموحشات لفقده ... خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديار وعرصات وربع ومولد
فبكى رسول الله ياعين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لاتبكين ذا النعمة التى ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودى عليه بالدموع وأعولى ... لفقد الذى لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد

(١) يغور : من الغور وهو ما انخفض من الأرض وينجد من النجد وهو ما ارتفع من الأرض .
(٢) الكنف : الجانب . (٣) مقصد : مصيب : اسم فاعل من أقصد .
(٤) المرسلات : الملائكة .
(٥) ضافها : نزل بها . البلاط : ما استوى من الأرض : الغرقد : شجر .

أعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلا لاينكد(١)
وأبذل منه للطريف وتالد إذا ضن معطاء بما كان يتلد(٢)
وأكرم صيتا فى البيوت إذا انتمى وأكرم جدا أبطحيا يسود(٣)
وأمنع ذروات وأثبت فى العلا دعائم عز شاهقات تشيد(٤)
وأثبت فرعا فى الفروع ومنبتا وعودا غذاه المزن فالعود أغيد(٥)
رباه وليدا فاستتم تمامه على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبوس ولاالرأى يفند(٦)
أقول ولايلقى لقولى عائب من الناس إلا عازب العقل مبعد(٧)
وليس هواى نازعا عن ثنائه لعلى به فى جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بال عينك لاتنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدىّ أصبح ثاويا ياخير من وطئ الحصى لاتبعد
وجهى يقيك الترب لهفى ليتنى غُيبت قبلك فى بقيع الغرقد(٨)
بأبى وأمى من شهدت وفاته فى يوم الاثنين النبى المهتدى
فظللت بعد وفاته متبلدا متلددا ياليتنى لم أولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ياليتنى صُبحت سم الأسود(٩)

---

(١) لا ينكد : لا يكدر .
(٢) الطريف : ما استحدث من المال . التالد : المال الموروث . يتلد : يكتسب قديما .
(٣) الصيت : الذكر الحسن . الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة .
(٤) الذروات : الأعالى . (٥) المزن : السحاب . أغيد : ناعم.
(٦) يفند : يخطأ . (٧) عازب العقل : بعيد العقل غائبه .
(٨) بقيع الغرقد : مدافن أهل المدينة .
(٩) صبحت سم الأسود : أى سقيت صباحا سم الأسود ، والأسود نوع من الحيات .

أو حل أمر الله فينا عاجلا ... فى روحة من يومنا أو من غد
فنقوم ساعتنا فنلقى طيبا ... محضا ضرائبه كريم المحتد(١)
يا بكر آمنة المبارك بكرها ... ولدته محصنة بسعد الأسعد
نورا أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدى
يارب فاجمعنا معا ونبينا ... فى جنة تثنى عيون الحسد(٢)
فى جنة الفردوس فاكتبها لنا ... ياذا الجلال وذا العلا والسودد
والله أسمع ما بقيت بهالك ... إلا بكيت على النبى محمد(٣)
ياويح أنصار النبى ورهطه ... بعد المغيب فى سواء الملحد
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا ... سودا وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لم نجحد(٤)
والله أكرمنا به وهدى به ... أنصاره فى كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نبّ المساكين أن الخير فارقهم ... مع النبى تولى عنهم سحرا(٥)
من ذا الذى عنده رحلى وراحلتى ... ورزق أهلى إذا لم يؤنسوا المطر
أم من نعاتب لانخشى جنادعه ... إذا اللسان عتا فى القول أو عثرا(٦)
كان الضياء وكان النور نتبعه ... بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده ... وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحد ... ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بنى النجار كلهم ... وكان أمراً من امر الله قد قدرا
واقتسم الفىء دون الناس كلهم ... وبددوه جهاراً بينهم هـــدرا

---

(١) الضرائب : الطبائع . المحتد : الأصل
(٢) تثنى : تبعد . (٣) والله أسمع : أى والله لا أسمع .
(٤) يريد : بولدنا : أن أخوال والد الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى النجار .
(٥) نب : نبىء : سهل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلة كما يبنى المعتل
(٦) الجنادع : أوائل الشر .

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا :

آليت ما فى جميع الناس مجتهداً ... منى ألية بر غير إفناد(١)
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثل الرسول نبى الأمة الهادى
ولا برا الله خلقا من بريته ... أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذى كان فينا يستضاء به ... مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما ... يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد ... أيقن بالبؤس بعد النعمة البادى (٢)
يا أفضل الناس إنى كنت فى نهر ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادى (٣)

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

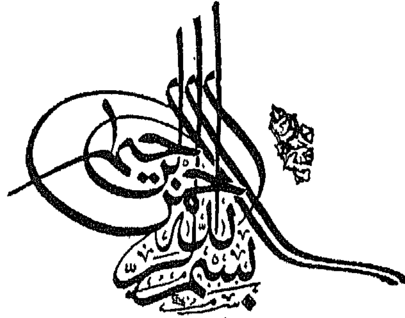
* * *

تمت السيرة

---

(١) الألية : اليمين . الإفناد : الخطأ والعيب .
(٢) المباذل : الأثواب التى تستعمل يوميا أو الأثواب الخلقة .
(٣) الصادى : الشديد العطش .

وقد رثاه غير حسان الكثير من الشعراء . ولكن كان المرثى أعظم من أن يرثى وكانت المصيبة أكبر من شعر الشعراء ورثاء الراثين وحزن المحزونين .



خاتمة

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه القوى القدير : طه عبد الرءوف سعد وأنا معترف بتقصيرى وعيوبى طالبا إلى علام الغيوب أن يغفر ذنوبى .

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله . صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك والتابعين وتابعيهم بإحسان ومن نهج نهجك وسار على سبيلك واتبع سنتك إلى يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فمهما يقول المؤرخون ومهما يصف الواصفون فأنت أعز وأكرم ، لأنهم لايستطيعون أن يحلوك مكانا رفعك الله إليه بقوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » فلتكف الأقلام ولتصمت الألسنة .

وبعد : فقد تم بعون الله الجزء الرابع من كتاب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام للإمام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى الحميرى البصرى الأصل .

﴿ وقد تم الكتاب بانتهاء الجزء الرابع ﴾

فهرست الجزء الرابع

من السيرة النبوية

